مجلة

المنار

المجلد السادس

الجزء الثاني والعشرون والثالث والعشرون

والرابع والعشرون

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ ذي القعده سنة ١٣٢١ — ٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(باب الفقه في أحكام الدين)

المفتي والقاضي في الشرع

وتعريف الاجتهاد

المفتي في الشرع هو الفقيه المجتهد الذي يرجع اليه الناس في معرفة ما يخفى عليهم من أحكام الدين . قال في (كشاف اصطلاحات الفنون) ما نصه (ص ١١٥٧ ج ٢) : « الفقه هو اسم علم من العلوم المدونة وهو العلم بالاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والفقيه هو من اتصف بهذا العلم وهو المجتهد . قال المحقق التفتازاني في حاشية العضدي : ظاهر كلام القوم انه لا يتصور فقيه غير مجتهد ولا مجتهد غير فقيه على الاطلاق . نعم لو اشترط في الفقه التهيؤ لجميع الاحكام وجوّز في مسألة دون مسألة فمحقق مجتهد ليس بفقيه »

وجاء (في ص ١١٥٦) منه ما نصه « الاستفتاء هو عند الاصوليين والفقهاء مقابل الاجتهاد والمستفتي بخلاف المفتي . والمفتي هو الفقيه فان لم نقل بتجزي الاجتهاد وهو كونه مجتهدا في بعض المسائل دون بعض فكل من ليس مجتهدا في الكل فهو مستفت في الكل . وان قلنا بتجزي الاجتهاد فالامر واضح أيضا فانه مستفت فيما ليس مجتهدا فيه مفت فيما هو مجتهد . وبالجملة فالمفتي والمستفتي انما يكونان متقابلين ممتنعي الاجتماع عند اتحاد متعلقهما ، واما اذا اعتبر كونه مفتيا في حكم مستفتيا في حكم آخر فلا » : اه

وبيان هذا ان المفتي عندهم هو المجتهد المستعد للافتاء بالدليل فان كان مستعداً للافتاء في عامة الاحكام فهو المجتهد المطلق وان كان لا يقدر على الافتاء الا في بعض الاحكام فهو مجتهد فيما هو مفت به . وهذا التفصيل مبني على قول المحققين من الاصوليين بأن الاجتهاد يتجزأ أي يجوز ان يجتهد الانسان في بعض المسائل فيقف على أدلتها ويعرف الحكم منها وان عجز عن مثل ذلك في مسائل أخرى .

وما تقدم من معنى الفقه هو اصطلاح علماء الاحكام العملية وأصولها (أي علم أصول الفقه) وللفقه معنى آخر هو ما يفهم من الكتاب والسنة وآثار السلف وهو فهم أسرار الدين في إصلاح النفوس ومعرفة آفاتها وما يصلح أخلاقها . ولا مشاحة في الاصطلاح فان الامام الغزالي الذي بين هذا المعنى كان يستعمل المعنى الاصطلاحي في كتبه الفقهية والاصولية . ويطلق الفقه عند المتأخرين على معرفة أقوال المؤلفين في الاحكام .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد اشترطوا في القاضي ان يكون مجتهداً لانه كالمفتي في الحاجة الى معرفة الحق فيما يحكم به بل هو من جهة أحوج الى تحري الحق لانه يلزم والمفتي مبين فقط ولكن الحنفية أجازوا أن يكون القاضي غير مجتهد عند الضرورة اعتماداً على أنه يستفتي فعلم ان جواز نصب القاضي من غير أهل الاجتهاد مشروط بوجود مفت من أهله يبين له الحكم . وهذا نص متن الهداية وهو أشهر المتون المعتمدة في مذهب الحنفية قال : « ولا تصح ولاية القاضي حتى يجتمع في المولى شرائط الشهادة ويكون من أهل الاجتهاد » قال الكمال في (فتح القدير) شرح الهداية « الصحيح ان أهلية الاجتهاد شرط الاولوية فأما تقليد الجاهل فصحيح عندنا خلافا للشافعي رحمه الله وهو يقول ان الامر بالقضاء يستدعي القدرة عليه ولا قدرة دون العلم . ولنا أنه يمكنه ان يقضي بفتوى غيره مقصود القضاء يحصل به وهو ايصال الحق الى مستحقه » وقال المرغيناني في تكملته للفتح : « قوله : خلافا للشافعي : ومالك وأحمد وقولهم رواية عن علمائنا نص محمد في الاصل ان المقلد لايجوز ان يكون قاضيا ولكن المختار خلافه » ثم قال « والمراد بالعلم ليس مايقطع بصوابه بل مايظنه المجتهد فانه لاقطع في مسائل الفقه واذا قضى بقول مجتهد فيه فقد قضى بذلك العلم وهو المطلوب »

ثم قال « واعلم ان مذكر في القاضي ذكر في المفتي فلا يفتي الا المجتهد وقد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد وأما غير المجتهد من يحفظ أقوال المجتهد فليس بمفت »

ثم ذكر ان نقل النصوص ليس بفتوى وانما هو إخبار على سبيل الحكاية وان هذه الحكاية لاتحل الا اذا كان للحاكي سند الى المجتهد الذي ينقل عنه يعتقد صحته أوكان يأخذه عن كتاب معروف تداولته الايدي نحو كتب محمد بن الحسن

فعلم من هذه النقول ان مذاهب الائمة الاربعة متفقة على ما قاله الاصوليون من كون المفتي هو المجتهد وان خلاف الحنفية في القضاء دون الافتاء وفيه عندهم قولان اعتمد صاحب الهداية على وجوب كون القاضي مجتهدا وفاقا لنص الامام محمد واختار آخرون جواز كونه غير مجتهد اعتمادا على وجود مفت يفتيه فكأنه في نظر هؤلاء منفذ فقط

ثم قال الكمال : « وفي حديث الاجتهاد كلام عرف في أصول الفقه وحاصله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يكون صاحب حديث له معرفة بالفقه ليعرف معاني الآثار اوصاحب فقه له معرفه بالحديث اثلا يشتغل بالقياس فى المنصوص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام مايبنى عليها» اه بحروفه وقال المرغيناني عند قوله : وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة : الخ مانصه : « فهذا اقيل لابد منه فى المجتهد فمن أتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهاد فيجب عليه ان يعمل باجتهاده وهو ان يبذل جهده فى طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الادلة ولا يقلد أحدا » اه أي ويجب عليه ان يفتي كذلك بما ظهر له ولا يجوز له ان يفتي بقول أحد بل علمت من نصهم ان نقل قول الغير لايسمى فتوى

هذا مانفسر به المفتي والمجتهد فى كتب الشريعة وابتدأنا بالنقل عن كتب الحنفية خاصة لان الحكومة المصرية على مذهبهم ومنها علم أن المذاهب الثلاثة موافقة لمذهب الحنفية في اعتبار كون المفتي هو المجتهد ، ولكن الجهل الظاهر قام يحتج على العلم فيحرم الاجتهاد على المفتي ولو فى بعض المسائل ويضع للمجتهد تعريفا جديدا وشروطا جديدة لان حرية المطبوعات فى مصر أباحت لكل أحد ان يخوض في كل شئ فقد رأينا تقريراً لبعض الجاهلين بالشرع يحتج فيه بزعمه على بعض ما أفتى به أشهر علماء الاسلام فى هذا العصر وينفي عنه الاجتهاد في الدين بناء على تعريف اخترعه للمجتهد لم يقل به قبله عالم ولا جاهل وهو كما في (ص ٣٧) من ذلك التقرير : « المجتهد هو الرجل الوجيه عند الله وعند الامة البالغ مبلغ العلم ومعرفة مدارك التشريع واسرار الشريعة بشرط ان يعترف له الناس بذلك » ثم قال بعد سطور في الاستدلال على كون الاجتهاد يكاد يكون ممنوعا عقلا : ان الثقة العامة ركن من أركان الاجتهاد فاذا ادعى مدع انه من المجتهدين واختلف الناس في أمره سقطت دعواه »

نقول ان هذا الكلام لغو باطل لانه اختراع أصول جديدة للشرع لم يقل بها أحد من اهله على انه غير معقول وغير مفهوم . دع عنك تخصيص الاجتهاد بالرجال المقتضي ان أمهات المؤمنين نسوة صاحب الشريعة عليه وعليهن السلام كن مقلدات غير مجتهدات في دينهن وانظر في اشتراطه كون المجتهد وجيها عند الله مع اشتراطه بعد ذلك ان تعترف له الامة بذلك ! ومن يقدر من الامة ان يحكم على الله ؟ لا يعرف الا بوحي من الله ؟ فهذا!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من غير المعقول ، ثم انظر في قوله «البالغ مبلغ العلم» تجده من غير المفهوم، ثم انظر في اشتراط اعتراف الامة مقلديها وجهلائها لرجل بانه وجيه عند الله وأنه بلغ مبلغ العلم وفهم أسرار الشريعة تجده غير معقول وغير مفهوم لان الامة لايمكن أن تصل الى معرفة هذه الامور فتحكم بها واذا فرضنا وصولها اليها فانها تكون أمة مجتهدة أي يكون جميع أفرادها مجتهدين وكل واحد منهم عارف بقدر الآخر وشاهد له ... ولم يشهد فرد واحد لمجتهد من السابقين بمثل ذلك .

﴿ بيان ماجاء في كتاب الاحكام السلطانية من القول باجتهاد القاضي ﴾

(فصل) ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ولا يلزمه ان يقلد في النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه فاذا كان شافعيا لم يلزمه المصير في أحكامه الى أقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها فان أداه اجتهاده الى الاخذ بقول أبي حنيفة عمل عليه وأخذ به وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب أن يحكم بغيره فمنع الشافعي أن يحكم بقول أبي حنيفة ومنع الحنفي ان يحكم بمذهب الشافعي اذا أداه اجتهاده اليه لما يتوجه اليه من التهمة والمحاباة في القضايا والاحكام وإذا حكم بمذهب لايعتقده كان أنفى للتهمة وأرضى للخصوم وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فأحكام الشرع لاتوجبه لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه وقضى بما أداه اجتهاده اليه وان خالف ماتقدم من حكمه فان عمر رضي الله عنه قضى في المشتركة بالتشريك في عام وترك التشريك في غيره فقيل له ماهكذا حكمت في العام الماضي فقال : تلك على ماقضينا وهذه على ماقضي : فلو شرط المولي وهو حنفي أو شافعي على من ولاه القضاء أن لايحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما أن يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيه وأخرجه مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أولا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا سواء تضمن أمرا أو نهيا ويجوز أن يحكم بما أداه اجتهاده اليه سواء وافق شرطه أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم أنه اشترط مالايجوز ولا يكون قدحا ان جهل لكن لايصح مع الجهل به أن يكون موليا ولا واليا. فان أخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على أن تحكم فيه بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط. والضرب الثاني أن يكون الشرط خاصا في حكم بعينه فلا يخلو الشرط من أن يكون أمرا أو نهيا فان كان أمرا فقال له أقد من العبد بالحر ومن المسلم بالكافر واقتص في القتل بغير الحديد كان أمرا بهذا الشرط فاسدا ثم ان جعله شرطا في عقد الولاية فسدت وان لم يجعله شرطا فيها صحت وحكم في ذلك بما يؤديه اجتهاده اليه. وان كان نهيا فهو على ضربين أحدهما ان ينهاه عن الحكم في قتل المسلم بالكافر والحر بالعبد ولا يقضي فيه بوجوب قود ولا باسقاطه فهذا جائز لانه اقتصر بولايته على ماعداه فصار ذلك خارجا عن نظره. والضرب الثاني أن لا ينهاه عن الحاكم وينهاه عن القضاء في القصاص فقد اختلف أصحابنا في هذا النهي هل يوجب صرفه عن النظر فيه؟ على وجهين أحدهما أن يكون صرفا عن الحكم فيه وخارجا عن ولايته فلا يحكم فيه باثبات قود ولا باسقاطه والثاني ان لا تقتضي الصرف عنه ويجري عليه حكم الامر به ويثبت صحة النظر ان لم يجعله شرطا في التقليد ويحكم فيه بما يؤديه اجتهاده اليه اه

فعلم من هذا أن القاضي لا ينعزل اذا خالف مذهب موليه او شرطه عليه تقليد امام معين بل تجب عليه مخالفة موليه اذا ظهر له الدليل على ان مخالفته هي الصواب. والمفتي في ذلك كالقاضي كما تقدم نقلا عن شرح الهداية بل القول بوجوب اجتهاد المفتي عند الحنفية أقوى من القول باجتهاد القاضي كما علمت وبهذه النصوص تعلم ان ما كتب في تلك الجريدة المحدثة من كون المفتي يصير معزولا اذا أفتى بخلاف مذهب موليه قول باطل، مبني على الجهل الظاهر.

وقد كان وقع مثل هذا الوهم أو قريبا منه لبعض الازهريين عندما علم ان قاضي قضاة السودان حكم في بعض القضايا بمذهب الامام مالك كالطلاق على المعسر والغائب. فسألنا يومئذ ذلك الازهري عن ذلك فأجبناه بنحو ماتقدم وزيادة تتعلق بالمولي فسكت عن مثلها الآن. وربما نزيد الكلام في الافتاء والمفتي بيانا في جزء آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع ويتبع

(الوجه الثالث والاربعون) قولهم : ان الله سبحانه وتعالى اثنى على السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وتقليدهم هو اتباعهم باحسان : فما أصدق المقدمة الاولى وما أكذب الثانية . بل الآية من أعظم الادلة رد على فرقة التقليد فان اتباعهم هو سلوك سبيلهم ومنهاجهم وقد نهوا عن التقليد وكون الرجل إمعة . واخبروا انه ليس من أهل البصيرة ولم يكن فيهم — ولله الحمد — رجل واحد على مذهب هؤلاء المقلدين . وقد أعاذهم الله وعافاهم مما ابتلى به من رد النصوص لآراء الرجال وتقليدها فهذا ضد متابعتهم وهو نفس مخالفتهم . فالتابعون لهم باحسان حقاهم أولوا العلم والبصائر الذين لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله رأيا ولا قياسا ولا معقولا ولا قول أحد من العالمين . ولا يجعلون مذهب أحد عيارا على القرآن والسنن فهؤلاء أتباعهم حقا جعلنا الله منهم بفضله ورحمته . يوضحه :

(الوجه الرابع والاربعون) ان اتباعهم لو كانوا هم المقلدين الذين هم مقرون على أنفسهم وجميع أهل العلم انهم ليسوا من أولي العلم لكان سادات العلماء الدائرون مع الحجة ليسوا من اتباعهم ، والجهال أسعد باتباعهم منهم وهذا عين المحال . بل من خالف واحدا منهم للحجة هو المتبع له دون من أخذ قوله بغير حجة . وهكذا القول في اتباع الائمة رضي الله عنهم معاذ الله ان يكونوا هم المقلدين لهم الذين ينزلون آراءهم منزلة النصوص بل يتركون لها النصوص فهؤلاء ليسوا من اتباعهم وانما اتباعهم من كان على طريقتهم واقتفى مناهجهم .

ولقد أنكر بعض المقلدين على شيخ الاسلام في تدريسه بمدرسة ابن الحنبلي وهي وقف على الحنابلة والمجتهد ليس منهم فقال انما أتناول ما أتناول منها على معرفتي بمذهب أحمد لا على تقليدي له . ومن المحال ان يكون هؤلاء المتأخرون على مذهب الأئمة دون أصحابهم الذين لم يكونوا يقلدونهم . فأتبع الناس لمالك ابن وهب وطبقته ممن يحكم الحجة وينقاد للدليل أين كان وكذلك أبو يوسف ومحمد أتبع لأبي حنيفة من المقلدين له مع كثرة مخالفتهما له وكذلك البخاري ومسلم وأبو داود ولازم وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المحض المنتسبين اليه — وعلى هذا فالوقف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على اتباع الائمة أهل الحجة والعلم أحق به من المقلدين فى نفس الامر .

(الوجه الخامس والاربعون) قولهم : يكفي فى صحة التقليد الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . جوابه من وجوه :

أحدها : ان هذا الحديث قد روي من طريق الاعمش عن أبي سفيان عن جابر ومن حديث سعيد بن المسيب عن ابن عمر ومن طريق حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر ولا يثبت شئ منها . قال ابن عبد البر : ثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد ان أبا عبد الله بن مفرج حدثهم . ثنا محمد ابن أيوب الصموت . قال : قال لنا البزار : واما مايروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لايصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني : ان يقال لهؤلاء المقلدين فكيف استجزتم ترك تقليد النجوم التي يهتدى بها وقلدتم من هو دونهم بمراتب كثيرة . فكان تقليد مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد آثر عندكم من تقليد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . فما دل عليه الحديث خالفتموه صريحا واستدللتم به على تقليد من لم يتعرض له بوجه .

الثالث : ان هذا يوجب عليكم تقليد من ورث الجد مع الاخوة منهم ومن أسقط الاخوة به مما وتقليد من قال : الحرام يمين : ومن قال : هو طلاق : وتقليد من حرم الجمع بين الاختين بملك اليمين ومن أباحه . وتقليد من جور للصائم أكل البرد ومن منع منه . وتقليد من قال : تعتد المتوفى عنها بأقصى الاجلين : ومن قال : بوضع الحمل : وتقليد من قال : يحرم على المحرم استدامة الطيب : وتقليد من أباحه . وتقليد من جوز بيع الدرهم بالدرهمين . وتقليد من حرمه . وتقليد من أوجب الغسل من الإكسال . وتقليد من أسقطه . وتقليد من ورث ذوي الارحام . ومن أسقطهم . وتقليد من رأى التحريم برضاع الكبير . ومن لم يره . وتقليد من منع تيمم الجنب ومن أوجبه . وتقليد من رأي الطلاق الثلاث واحدا . ومن رآه ثلاثا . وتقليد من أوجب فسخ الحج الى العمرة . ومن منع منه . وتقليد من أباح لحوم الحمر الاهلية . ومن منع منها . وتقليد من رأى النقض بمس الذكر . ومن لم يره . وتقليد من رأى بيع الامة طلاقها ومن لم يره . وتقليد من وقف المولى عند الاجل . ومن لم يقفه . واضعاف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اضعاف ذلك مما اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فان سوغتم هذا فلا تحتجوا لقول على قول ومذهب على مذهب بل اجعلوا الرجل مخيراً في الاخذ بأي قول شاء من اقوالهم . ولا تنكروا على من خالف مذهبكم واتبع قول أحدهم . وان لم تسوغوه فانتم أول مبطل لهذا الحديث ومخالف له وقائل بضده مقتضاه وهذا مما لا انفكاك لكم منه .

الرابع : ان الاقتداء بهم هو اتباع القرآن والسنة والقول من كل من دعا اليهما منهم فالاقتداء بهم يحرم عليكم التقليد ويوجب الاستدلال وتحكيم الدليل كما كان عليه القوم رضي الله عنهم . وحينئذ فالحديث من أقوى الحجج عليكم وبالله التوفيق .

(الوجه السادس والاربعون) قولكم : قال عبد الله بن مسعود : من كان مستنا منكم فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد : فهذا من أكبر الحجج عليكم من وجوه . فانه نهى عن الاستنان بالاحياء وأنتم تقلدون الاحياء والاموات . الثاني انه عين المستن بهم فانهم خير الخلق وأبر الامة وأعلمهم رضي الله عنهم . وأنتم معاشر المقلدين لا ترون تقليدهم ولا الاستنان بهم وانما ترون تقليد فلان وفلان ممن هو دونهم بكثير . الثالث : ان الاستنان بهم هو الاقتداء بهم وهو بأن يأتي المقتدي بمثل ما أتوا به ويفعل كما فعلوا . وهذا يبطل قبول قول أحد بغير حجة كما كان الصحابة (رض) عليه . الرابع : ان ابن مسعود قد صح عنه النهي عن التقليد وان لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له . فعلم ان الاستنان عنده غير التقليد .

(الوجه السابع والاربعون) قولكم : قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وقال « اقتدوا بالذين من بعدي » فهذا من أكبر حججنا عليكم في بطلان ما أنتم عليه من التقليد فانه خلاف سنتهم . ومن المعلوم بالضرورة ان أحداً منهم لم يكن يدع السنة اذا ظهرت لقول غيره كائنا من كان ولم يكن له معها قول البتة وطريق فرقة التقليد خلاف ذلك . يوضحه

(الوجه الثامن والاربعون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قرن سنتهم بسنته في وجوب الاتباع . والاخذ بسنتهم ليس تقليداً لهم بل اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ان الاخذ بالاذان لم يكن تقليداً لمن رآه في المنام . والاخذ بقضاء مافات المسبوق من صلاته بعد سلام الامام لم يكن تقليداً لمعاذ بل اتباعا لمن أمرنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالاخذ بذلك فان التقليد الذي أنتم عليه من هذا ؟ يوضحه

(الوجه التاسع والاربعون) انكم أول مخالف لهذين الحديثين فانكم لا ترون الاخذ بسنتهم ولا الاقتداء بهم واجبا وليس قولهم عندكم حجة وقد صرح بعض علمائكم بأنه لا يجوز تقليدهم ويجب تقليد الشافعي ، فمن العجائب احتجاجكم بشيء أنتم أشد الناس خلافا له وبالله التوفيق يوضحه

(الوجه الخمسون) ان الحديث بجملته حجة عليكم من كل وجه : فانه أمر عند كثرة الاختلاف بسنته وسنة خلفائه وأمرتم أنتم برأي فلان ومذهب فلان . الثاني : أنه حذر من محدثات الامور وأخبر ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . ومن المعلوم بالاضطرار ان ما أنتم عليه من التقليد الذي ترك له كتاب الله وسنة رسوله ويعرض القرآن والسنة عليه ويجعل معياراً عليهما من أعظم المحدثات له والبدع التي برأ الله سبحانه القرون التي فضلها وخيرها على غيرها منه . وبالجملة فاسنة الخلفاء الراشدون او أحدهم للامة فهو حجة لا يجوز العدول عنها فأين هذا من قول فرقة التقليد : ليست سنتهم حجة ولا يجوز تقليدهم فيها : يوضحه

(الوجه الحادي والخمسون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في نفس هذا الحديث « فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا » وهذا ذم للمختلفين وتحذير من سلوك سبيلهم وانما كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا كل فرقة تنصر متبوعها وتدعو اليها وتذم من خالفها ، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون في الرد عليهم ويقولون : كتبهم وكتبنا وأئمتهم وأئمتنا ، ومذهبهم ومذهبنا ، هذا والنبي واحد ، والقرآن واحد ، والدين واحد ، والرب واحد ، فالواجب على الجميع ان ينقادوا الى كلمة سواء بينهم كلهم وان لا يطيعوا الا الرسول ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضاً أربابا !!

فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاه الى الله ورسوله وتحاكموا كلهم الى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وان لم يعدم من الارض . ولهذا تجد أقل الناس اختلافا أهل السنة والحديث . فليس على وجه الارض طائفة أكثر اتفاقا وأقل اختلافا منهم لما بنوا على هذا الاصل وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد ، كان اختلافهم في أنفسهم أشد وأكثر ، فان من رد الحق مرج عليه أمره ، واختلط عليه ، والتبس عليه وجه الصواب فلم يدر أين يذهب كما قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم ، فهم في أمر مريج)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب السؤال والفتوى

الحكمة في كون الانبياء لا يورثون

(س ١) انجي أميوغن أحمد في سنغافورة: ما الحكمة في كون الانبياء عليهم السلام لا يورثون؟

(ج) الحكمة في ذلك دفع تهمة الكافرين والمرتابين الذين يظنون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالملوك والامراء كانوا يريدون بدعوتهم الثروة والجاه والسيادة. والحجة على هؤلاء ان سيرة الانبياء ترد هذا الزعم وتبطله فقد كانوا ممرونين بالزهد في الدنيا وعدم المبالاة بزخرفها والعناية بمجدها. وقد يقول المنكر ان المعهود في كثير من الناس ان يضيقوا ويقتروا على أنفسهم ليوفروا التراث لذرياتهم وهؤلاء كذلك فكان من تمام الحجة ان يجعلوا ما يتركون صدقة لامتهم ليعلم انه لم يكن لهم حظ في الدنيا الا لأنفسهم في حياتهم ولا لذرياتهم بعد مماتهم وانما كانوا يقصدون بدعوتهم مرضاة الله تعالى بهداية خلقه وارشادهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

تكفير الحج الذنوب

(س ٢) عوض افندي محمد الكفراوي بزفتي: أفيدونا عن الحج المبرور هل يكفر جميع الذنوب الكبائر والصغائر حتى التبعات أم يكفر البعض ويبقى البعض؟ وعن أصح الاقاويل والنصوص فيه لان بيننا خلافا في ذلك

(ج) الاصل في القول بالتكفير حديث أحمد والشيخين وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة» وحديث أحمد والشيخين وغيرهم عنه «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية للترمذي «غفر له ما تقدم من ذنبه» قال الترمذي هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا العباد ولا يسقط الحق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه اثم تأخيرها لا نفسها فلو أخرها بعد ذلك تجدد إثم آخر. وقال ابن عبد البر ان الذي يكفر هو الذنوب الصغائر، وقال الطبري هو محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها أي فمن كان عليه حق لأحد فانه لا يكفره عنه الا العجز عن ادائه مع نية الاداء عند القدرة. وقالوا ان الحج المبرور هو المقبول والذي جاء على الوجه الاكمل باستيفاء الاعمال البدنية والقلبية ومن ذلك ان يكون المال الذي ينفقه حلالا. وأنشدوا:

إهداء من www.alukah.net

اذا حجت بمال أصله دنس فما حجت ولكن حجت العير

لا يقبل الله الا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

واذا بحثنا في معنى التكفير وسره يتيسر لنا ان نفهم ان قول هؤلاء الائمة هو المقبول وان قول بعض المتأخرين ان الحج يكفر التبعات والموبقات ويسقط الحقوق فاسد مخالف لاصول الدين وقواعد الشريعة . ذلك ان الكلام الالهي والهدي النبوي يدلان على ان الذنوب تدنس الارواح وتُدَسِّيها ، وان الاعمال الصالحة تطهرها وتزكيها . وان تكرار السيئات يحدث في النفوس ظلمات معنوية اذا كثرت ترين على القلوب أي تغطيها حتى لا تعود تتأثر بالذكرى والموعظة وان من أحاطت به سيئته بمثل هذا التكرار ، كان خالدا في النار ، وان من تدارك الذنب بالتوبة والعمل الصالح الذي يكون أثره في النفس مضادا لاثر ذلك الذنب يغفر له ويكفر عنه « ان الحسنات يذهبن السيئات » ـ « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »

والحج المبرور الذي لا رفث فيه ولا فسوق أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا خروج عن آداب الشريعة وحدودها هو توبة نصوح وايمان وعمل صالح له في النفس أكبر الآثار في اصلاحها لما فيه من الانقطاع عن الاهل والوطن والاعمال الدنيوية والاقبال على الله تعالى بزي الاموات ، واحياء شعائر أعظم المرشدين ، والوقوف في مواقف أفضل المرسلين ، والتذكر بنقلهم في تلك المعاهد المقدسة تعبدا لله تعالى وتقربا اليه وخضوعا خالصا لجلاله لاحظ للنفس فيه فمن حج مثل هذا الحج المبرور ، واستغرق قلبه بمثل هذا الاحساس والشعور ، رجي ان يمحى ما كان علق بنفسه من آثار الذنوب الماضية أو تغلب تلك الظلمة بهذا النور وعند ذلك تنبعث النفس الى حسن الطاعة ، والاستقامة على طريق الهداية ، فتعمد الى أداء ما عليها من الحقوق لله وللناس بقدر الاستطاعة فيصح ان يقال انها ولدت ولادة جديدة لانها دخلت في دور من الحياة جديد ، وان يقال ان السيئات الماضية قد كفرت وغفرت لان الغفر والتكفير بمعنى تغطية الشيء وقد غطيت تلك الظلمة الماضية وسترت بهذا النور الحاضر

وأما من يتوهم ان التكفير والمغفرة عبارة عن أجرة الحركات البدنية في السفر الى مكة والطواف والسعي والوقوف في تلك المعاهد وان مثالها مثال من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفسد في حرث غيره ونسله فكلفه بعمل شاق في مقابلة ذلك الافساد وجعل هنا في مقابلة ذاك — فهو الذي يجهل الدين ويرى ان الله ينظر الى حركات الابدان ، دون اصلاح النفوس والارواح . ولو كان الامر كذلك لكان كل من أدى أعمال الحج الظاهرة مقطوعا له بالمغفرة ولكان للمغرور ان يترك الفرائض ، وينتهك المحارم ، ويتوغل في المظالم ، ثم يسافر الى تلك البلاد ويأتي بتلك الحركات ، ويعتقد ان قد سقطت عنه جميع الحقوق والتبعات ،

وقد قالوا ان للحج المبرور الذي يكفر السيئات علامات جماعها الاستقامة بعده . قال الامام الغزالي في آخر كتاب الحج من الاحياء بعد ذكر أعمال القلب فيه ما نصه : « فاذا فرغ منها فليلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل حجه وأثبت في زمرة المحبوبين ، أم رد حجه وألحق بالمطرودين ، وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لايقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله . فاذا ظهر ذلك عليه دلّ على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله من ذلك » اهـ

﴿ بعض حكم الحج ﴾

(س ٣ و٤ و٥) سيد افندي نصر بالجيزه : (١) ما الحكمة في الوقوف بعرفة ؟ (٢) ما الحكمة بجمع الجمرات من محل مخصوص وما هي حقيقة الرجم وأي شيء يرجمون ؟ (٣) هل بئر زمزم صناعية أم طبيعية وما علة تسميتها بهذا الاسم ؟

(ج) الوقوف بعرفة في معنى الاجتماع لصلاة الجمعة الا أن جماعته أكبر ، وفائدة الاجتماع فيه أعم وأكمل ، فان المسلمين يجتمعون له من كل شعب وقبيل ويقصدون اليه من كل وجه من أرجاء الارض فيتعارفون في موقف يساوي بين الملوك والامراء ، والصعاليك والفقراء ، اذ يجتمعون بزيّ واحد ، على عمل واحد ، ويتلقون من إمام المسلمين أو نائبه تعليما واحدا بالخطبة ، وامامي الجمار فيقصد به التشبه بابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ كان في تلك المعاهد يبني بيت الله وينقل الحجارة بنفسه ويساعده ولده اسماعيل . فان تذكر

قيام الرجال العظام بخدمة الدين يحيي شعور الدين في النفوس ويبعث الهمة للاقتداء بهم. وروح هذا التشبه وسره اظهار العبودية لله تعالى والامتثال لامره واقتفاء أثر رسله في الامور الدينية التي وضعت لاصلاح النفوس باحياء شعور الايمان والتعبد لله. وللرمي أذكار مخصوصة يقصد بها ماذكر، فتكون الحصيات مع هذه الاذكار كالسبحة في احصاء الاذكار المأثورة بالعدد المعين وكانوا في الصدر الاول اذا عدوا يعدون على نحو الحصا والنوى. والعمدة ماذكر تارة أولا من معنى التأسي والتعبد. واما بئر زمزم فهي كسائر الآبار ماء طبيعي وبناء صناعي وفي مائها معادن نافعة ان شاء الله تعالى. والماء لزمزم الكثير وروي ان هاجر أم اسماعيل عليهما السلام هي التي اهتدت اليه عند الحاجة وان الملك فجره لها والملائكة موكلون بكل شيء فهم أرواح النظام ونواميس الاسباب والله أعلم

وقد كنا عازمين على أن ننشر في الجزء الماضي أو في هذا الجزء مقالا مسهبا في أعمال الحج الظاهرة والباطنة وفي حكمه وأسراره الروحية والاجتماعية ولكن الكلام في مسألة الفتاوي العارضة شغلنا عن ذلك حتى سافر أكثر الحجاج الذين كنا نحب أن نزودهم بما نكتب ولعلنا ان أمهل الزمان نكتب ذلك في العام المقابل ان شاء الله تعالى

الصور الشمسية

(س ٦) عبد الكبير افندي المصطفوي الخطيب والمدرس في (روسيا):

شاع في عصرنا هذا التصوير بآلة مخصوصة ونحن محجورون من حكومتنا الروسية على ان نصوّر بهذه الآلة في بعض الاحوال لاثبات اشخاصنا ومن ذلك ان من يريد منا ان يكون اماما في مسجد يكلف بأن يقدم صورته الى الجمعية الشرعية في أوقا عند حضوره اليها لتأدية الامتحان لاثبات انه هو فهل يجوز هذا شرعا أم لا وما معنى الاحاديث الواردة في النهي عن ذلك؟

(ج) سبق لنا في المنار بيان السبب في النهي عن التصوير واتخاذ الصور بهيئة تدل على التعظيم وهو ان القوم كانوا قريبي عهد بالوثنية وكانت الكعبة في الجاهلية مزينة بالصور المعتقدة ومنها صور بعض الانبياء فاراد الشارع ان ينسيهم تلك العبادة الوثنية التي الفوها القرون الطويلة وأنست نفوسهم بها فنهاهم عن التصوير وتعظيم الصور كما نهاهم عن تشريف القبور واتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عندها بل وعن زيارتها في أول الامر وعن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اتخاذ قبره موتنا أوعيداه ولقد شدد في أمر القبور مالم يشدد في أمر الصور حتى كان يلعن من يتخذها مساجد وهو في مرض الموت ، ولكن المسلمين ظلوا في الغالب يتجنبون التصوير واتخاذ الصور حتى بعد زوال سبب النهي بالمرة فانه لا يخطر ببال مسلم الآن ان يعبد صورة أو تمثالا وتراهم قد استباحوا ما نهوا عنه في شأن القبور فاتخذوها مساجد وأوقدوا عليها السرج والشموع واوقفوا لذلك الاوقاف مع ان معنى النهي قائم متحقق بل زاد المسلمون على غيرهم فيما نهوا ان يفعلوا فيه فعلهم وهذا من عجائب انقلاب أوضاع الدين

اتخاذ الصورة وحملها لاجل ان يعرف الشخص بها لمصلحة ألزمته حكومته بها لاضرر فيه لا لأنه لا دخل لنزعات الوثنية وتذكر عبادتها بهذه الصورة فقط بل زاد على انتفاء علة النهي عن التصوير واتخاذ الصور أن الفقهاء الذين يقلدهم المسلمون الآن قد صرحوا بذلك فمنهم من قال ان اتخاذ الصور من غير تعظيم لها لا ضرر فيه واستدلوا على ذلك بحديث عائشة في الصحيح وهو ان النبي عليه الصلاة والسلام أمرها بهتك القرام (الستار) الذي فيه الصور اذ كان معلقا كما تعلق الصور المعبودة فهتكته واتخذت منه وسادة كان النبي (ص) يستعملها والصور فيها ، ومنهم من قال انه لا بأس باتخاذ الصور التي لا يعيش مثلها وأكثر الصور الشمسية التي تتخذ لمعرفة اشخاص أصحابها لا حرمة فيه علينا لا اجتهادا ولا تقليدا بل الامر أوسع من ذلك

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

(س ٧) ومنه : ذكرتم في المنار ان الحديث الوارد في النهي عن تعليم النساء الكتابة موضوع وقلتم ان تعليمهن الكتابة جائز ولكن الكتاب الذي طبع في دمياط المسمى (تلبيس ابليس) أو (فصل الخطاب) يقول ان الحديث في النهي عن تعليم النساء الكتابة والكاهن العرف متواتر فمن أين أخذ صاحب هذا الكتاب ان الحديث موضوع

(ج) ان مؤلف ذلك الكتاب جاهل بالحديث والسنن فلا يعتد بقوله ومن أخذ قوله عن مثله من العامة وشبه العامة أقرب من كتابه المذكور شيئا حريصا على الوقوع ان يصيب منه شيئا في قوله المنتقد على من ولدين من علمائهم وقد أتم النص من الحديث على ان [illegible]

إهداء من مكتبة الألوكة www.alukah.net

أي كتاب لاي مؤلف اذا لم يذكر تخريجه عن الحفاظ المعروفين . وكيف ينهى النبي (ص) عن اسكان النساء الغرف والله تعالى يقول « أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجدكم ولا تضارُّوهن لتضيقوا عليهن » ولكن اين هؤلاء الجاهلون من فهم القرآن وتطبيق السنة عليه ؟؟

﴿ يعمل بخبر الجرائد في اثبات الصيام ﴾

(س ٨) الشيخ مقبل الذكير في جزيرة البحرين : اطلعنا في الجزء السابع عشر من المنار على بحث الصيام وفضله وثبوته فجزاكم الله عن الاسلام خيرا فقد أوجزتم وأحسنتم ولنا ههنا سؤال وهو اذا ذكرت الجرائد ان شهر رمضان قد ثبت شرعا ان أوله الجمعة وكان بعض أهل الاقطار البعيدة كخليج فارس والعراق قد رأوا الهلال ليلة السبت فهل يعتمدون على خبر الجرائد اذا بلغهم في أثناء الشهر وبنون عليه اتمام العدة ثلاثين يوما اذا لم يروا هلال شوال ثم يقضون ذلك اليوم (الجمعة) أم يتمون العدة على حسب صيامهم الذي أوله السبت ولا يجب عليهم قضاء ؟ أفيدوا مأجورين

(ج) الواجب على من ذكرتم ان يعملوا بحسب رؤيتهم ويتموا العدة على حسابهم الا ان يروا الهلال ليلة الثلاثين بحسابهم فانهم بنوا صيامهم على اثبات شرعي صحيح. وما سبق في المنار استحسانه من عمل أهل القطر المصري لا ينطبق على مثل ماذكرتم فانه خاص ببلاد يمكن ان يعرف أهلها كلهم اثبات الشهر في الليلة الاولى منه ليصوموا جميعا ويفطروا جميعا فان الاجتماع والاتفاق في اداء العبادة من مهمات الشرع . وأما البلاد المتقطعة بعضها عن بعض فيجب ان يعمل أهل كل جهة بما يثبت عندهم ولا يعمل أهل البحرين بما يثبت في البصرة أو الهند أو مصر الا اذا أمكن العلم بذلك في الليلة الاولى من الشهر بطريقة مأمونة من التزوير وأنى لهم هذا ؟

﴿ كيفية الاعتقاد بالوحي ﴾

كتب كاتب الى الاستاذ الامام يسأله ان يكتب في المنار كيفية الاعتقاد بالوحي وتعريف الوحي التعريف الذي يسهل على الفهم تناوله وعلى العقل قبوله ويقول انه اجتهد في فهم الوحي فلم يفهم المراد منه . فالاستاذ الامام يحيله على رسالة التوحيد فاذا قرأها وتدبر ما كتب فيها ولم يقتنع فليحضر بنفسه الى محل الافتاء في الازهر وليسأل عما اشتبه عليه يجب عنه واذا لم يتيسر له الحضور فليكتب ما يشتبه عليه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نظام الحب والبغض — تابع لما قبله

(حب القوة)

— رابطة الدين —

قد بينا هنا لكم أن رابطة القومية لا يعدو نفعها قدراً طفيفاً كأن يعين الرجل رجلاً من عترته على رجل من عترة أخرى . وأن هذا القدر لو لبث عليه الانسان لما تميز على الحيوانات التي ينهش بعضها بعضاً . وهنا نبين كيف حدثت هذا النوع رابطة أخرى . وكيف أورثته قوة عظمى ، وسارت به في الارتقاء مسافة كبرى .

أما التاريخ فلا يعطينا هذا البيان لانه انما حدث بعد حدوث هذه الرابطة . فيأتينا هنا أخذه مما قرأناه في طبيعة الانسان وعناية فاطره به .

(تأسيس)

ان من المحقق المحسوس ان الاقاليم والاعمال والاعمار تحدث في أهلها ثم في أعقابهم من الصفات الجسدية ما يجعل بينهم وبين الآخرين فروقاً تبتدئ صغيرة ثم تكبر . فهذه من جملة الاسباب التي أوجبت — على التعادي — الفروق التي بين ابدان البشر . وليس من صددنا الآن التصدي لذكر الاسباب الاخر . بل نكتفي بهذه لندعم بها مقدمة أردنا اثباتها هنا وهي أنه « كما تتفاوت الابدان لاسباب تتفاوت الافكار لاسباب » (وما أرانا مثال الرجال تفاوتا)

ومن المحقق المحسوس والمعقول ان بين القوى النباتية التي في الانسان ارتباطاً فالقوى الظاهرة مسخرة للنوعين الآخرين من قواه نعني بهما قوة الادراك — التي نسميها الفكر أو العقل — وقوة الطلب والارادة — التي نسميها القلب — وانا نجد أن العقل والقلب يكونان على مبلغ البدن من الصحة والاعتدال والقوة . ثم نجد لصحة البدن أسباباً منها صحة الادراك واعتدال الارادة .

هذا الارتباط دقيق جداً وفيه شبه الدور الذي يمنعه علماء التصور والتصديق (المنطق) ولدقته خفي على أكثر الناس إفاقة كل قوة على أختها في التأثير .

ثم من الناس من ظن ان صحة البدن هي التي تتيح صحة الفكر والارادة . وقد نسوا ان أصح البهائم بدناً لا تفوق بالفهم أضعفها . ونسوا أن الذين ليس لهم نصيب كبير من الحياة النوعية —

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كرماء الابل — أقرب الى صحة الابدان منهم الى صحة الافكار ونحن بهذا الاحتجاج لم نرد تفنيد ذلك الرأي من كل الوجوه بل من وجه الجمود على هذه الجهة وحدها.

وآخرون ظنوا ان الاصل صحة العقل فهي التي تنتج صحة البدن والارادة. وقد نسوا ان أقوى الناس عقلا لايفوق بصحة البدن ضعاف الادراك وبصحة الارادة ضعاف الابدان.

كل هذه الظنون نشأت من الشعور بذلك الارتباط ولكن لم يرافقها التدقيق فسميت بالارتباك. والظن السديد الموطوده هو ان الارتباط موجود، والدور مفقود، والامر دائر على فضل طفيف بينها. فهبة القلب للعقل والبدن تنيف إنافة قليلة على اتهابه منهما. وهبة العقل للبدن تنيف قليلا على اتهابه منه. ثم وراء الكل للعقل والقلب جاذبان ضدان مستتران قد أوجدهما باري الكل محكا للعقول ليخلص الطيب كما يخلص النور من الغثاء الاحوى. ولايسئل عن خالق الاضداد مما خلق. سبحانه هو المنزه وحده عن الاضداد والانداد

هذا ماظهر لنا من كيفية الارتباط بين قوى الجسد الظاهرة والباطنة ثم علاقتها بالامرين الغيبيين وهو يعرّفنا أنه مهما يكن للامور الحسية من تأثير فأن وراءها أموراً غيبية. وأنه مهما يكن للامور الغيبية من تأثير فان للامور الحسية دخلا وشركة. وثمر هذه المعرفة احترام الاسباب الظاهرة أدبا مع من لم يوجدها عبثا وتشوّف النفوس الى ماوراء المعارف الحاضرة وبمثل هذا كان رقي النوع في المعارف.

ويؤخذ من هذا ان أوائل علوم البشر كلها الهامية وحيية وأن الهام كل فرد يكون بحسب قواه.

ومعنى الالهام اوالوحي في اللغة الالقاء في الروع أي الاخطار على البال. بيد أنه يكون على ثلاثة انواع يختلف تعريفه اصطلاحا بحسبها.

النوع الاول: عام وهو مايكون به هداية كل نوع لما يصلح له قوامه كالذي نراه في فطرة كلمة العشب من اجتناب الاعشاب التي لاتلائمها من غير معلم ومن غير تجربة سابقة كالخيل والبقر والانعام. وكالذي نراه من اتخاذ كل نوع من الانواع المتعادية أسبابا للدفاع والهجوم من صياصي وخدائع. اعتبر بذلك من صغار الحشرات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى كبار السباع . وكالذي نشاهده من استشفاء البعض منها ببعض الاعشاب كالسنانير والكلاب . وكالذي نراه من نظام الحيوانات المنقادة لرئيس منها كالنحل والنمل .(*)

والنوع الثاني : خاص وهو ماتكون به هداية هذا النوع الانساني في حياته النوعية وشؤونه الخصوصية . ومن هذا الباب الرجاء الفجائي وأوائل الاختراعات على اختلافها . (**)

والنوع الثالث : أخص وهو ماتكون به هداية بعض الافراد في معرفة شئ من عالم الغيب الذي من نحوه وردت نواميس عالم الحس فكان بها قوامه ونظامه ***

ويقابل هذه الهدايات في النوعين الاخيرين اضلالات تأتي من جانب أحد الضدين المجتبين المتجاذبين لعقل الانسان وقلبه . حتى يصعد ذو هدى من النوع الاخير الى أعلى عالين ، وينزل ذو ضلال يضاد الى أسفل سافلين (****)

ومن ثمة لايكون هذان النوعان الاخيران لافراد أهليهما على وتيرة واحدة والا لما كان التفاوت المكتوب . وانما يكون أهلوهما متفاوتين على مقدار قابلياتهم في الاتهاب .

فمن الناس من يتعلم من معلم صنعة ثم يوحى اليه ان يجرب تجربة لم يتعلمها ليزيد في تلك الصنعة شيئاً جديداً . ومنهم من لايوحى اليه ذلك أو يوحى اليه ان ينقص منها .

ومنهم من يوحى اليه ان يبتدئ ويخترع أمراً لم يكن من قبل ولم يعلمه اياه معلم ثم يوحى اليه ان يعلمه للغير أو ان لايعلمه .

ومنهم من يلهم علم أمر سيكون (١) ومنهم من يلقى في روعه ان ينفع غيره

(*) شاهد هذا النوع من القرآن المجيد « وأوحى ربك الى النحل »

(**) الشاهد : — وأوحينا الى أم موسى — الآية . . . .

(***) الشاهد : — انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده — الآية

(****) الشاهد : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً »

(١) ان علم كل شئ من الامور الغيبية لايكون لاحد من البشر كما لايكون العلم لاحد منهم بكل شئ من الاشياء المحسوسة . أما الامور الخفية التي هي من عالم الحس فالعلم ببعضها ليس بغريب بالنسبة لمن فطر هذه الفطرة الغريبة . وانما الغريب العلم بالامور التي هي من عالم الغيب فهذه هي التي يوحى بعضها للرسل المطهرين .

www.alukah.net شبكة الألوكة

ومنهم من يلقى اليه ان يضر الغير ومنهم من ينشرح صدره لتصديق الملهم ومن لا ينشرح صدره وهكذا .

هذا ورعا طالبنا مطالب بتسمية ذينك المتجاذبين المجتبين فاقول انه قد سمي من قبل جاذب الخير والسعادة والفضيلة بالروح الطاهر (القدس) ، والامين ، وعون الله ، وحبر الله ، ونصر الله ، وأمر الله ، وروح الله ، وبالنور ، والشفاء ، وكل جميل . وسمي جاذب الشر والشقاء والرذيلة بالروح النجس (الرجس) واللعين ، ولعن الله ، وغضب الله ، وخزي الله ، وبالظلام ، والمرض ، وكل قبيح .

ولكني أحب الذين يدركون خواص المسمى اولا ثم يلتفتون الى الاسماء فان وافقت المطلوب كما هنا والا التمسوا المطابق وأكره الذين يلتفتون للاسماء اولا ثم يتجافون عن الخواص التي ربما لا تظهر لهم من الاسماء ، أو يتجافون عن أسماء لم يسمعوها لخواص كانوا قد سمعوا بها .

بناء

بناء على هذا الاساس الذي مكناه نخال أو نقول :

إن البشر لما تفاوتت أبدانهم وعقولهم وقلوبهم للاسباب الظاهرة والباطنة تفاوتت محبوباتهم ومشتهياتهم ، وحرص كل منهم على مشتهاه ، واتخذ إلهه هواه ، وافق ذلك المشتهى لغيره أو لم يوافق ، طابق ذلك التأليه للانسانية او لم يطابق ، فتكونت بينهم العداوة والبغضاء ، وأمسى القرباء بعداء ، وزين للاقوياء منهم حطم الضعفاء ، وماذا تكون عاقبة الاقوام ، اذا ألهوا الحكام ، وتعبدوا بدم الحسام ، الا يستجير الضعاف ويجأرون ، الا يسرون بطلب المناص ويجهرون ، فمن ذا الذي يجيب دعوة المضطرين ، أفتسمعها الاحجار ، أفتستجيب لها الاشجار ، أفتغيثها الحشرات ، أفتليبها الحجارات ، أفترحم لها نفوس الذين من نارهم تضج ، ومن غبارهم تعج ، لمن يشكون ، أتسمعهم الكواكب وتبصرهم ، أتجبر كسرهم وتنصرهم ، أتقدر ولا تريد ، أم كل ذلك عنها بعيد ، تجل يا عالم الغيب فليس الا من لدنك يرسل الخلاق هذا المدد الذي يحتاجه أكمل عوالم الارض خاصة ، وأشرفها منزلة وأعظمها قوة ، وأكرمها منزلة .

ألم تسبق عناية الفاطر ان تعد لهذا المصنوع البديع ما لا تراه الابصار ، ولا تسمعه الآذان ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا تبلغه الأذهان، فها هو ذا لم يجد حاجته هذه عند تلك المحسوسات، من الجمادات الأرضية فصاعدا الى نيرات السموات، فهل خبأ له هذه الحاجة الا في خزائنك يا عالم الغيب، تجلّ لنا بأنوارك، أشرق علينا بأسرارك، متعنا بجمالك، هبنا من كمالك،

بل قد سبقت عناية الفاطر وهدايته لها، وظهرت منحته وهذا سلطانها:

إنه كان رجال مطهرون مصلحون يرشدون الاقوياء الى العدل الذي ينفعهم أنفسهم وغيرهم يرشدون الضعاف الى أسباب القوة التي يدفعون بها ظلم الظالمين. وعلى هذا النحو أسسوا أول ميزان في الارض توزن به ذات كل بالسوى، وتعرف به حدود القوى، فيكون الرجاء والتقوى «فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» هي القرينة التي لها بعد «فَإِنَّ الْجَحِيمَ (على أنواعها الحسية والمعنوية) هِيَ الْمَأْوَى» «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (الذي يربي غيره كما يربيه، ويقويه كما يقويه) وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ (على أنواعها الحسية والمعنوية) هِيَ الْمَأْوَى»

تالله الحمد، لم يخلق سدى، وان للحظة الدنيا غداء ان هذا القول من دعوا الى الهدى، في كل الامم والقرى، من أول الازمان حتى المدى.

هذا الذي أشرنا اليه هو مبدأ تاريخ الدين القويم ولزيادة التوضيح نقول:

لما كان الفساد يكثر كان رجال ممن تغلب فيهم الروح الطاهرة يقومون للاصلاح ويبرهنون للناس على انه اذا لم توضع للمطالب والمحبوبات حدود يخضعون لها يفسد النظام ويفني بعضهم بعضا من حيث لا يستفيد آخر من يفني الكل. وكان الناس منهم من يقبل ومنهم من يعرض اذ لو قبل الكل لمن أصلح لما كان اليوم من فساد قط. ولو قبل الكل لمن أفسد لما كان اليوم من نظام قط. بل قد كان اتباع المفسدين أكثر لان الفرق بين المصلح والمفسد كبير هو فرق ما بين الضدين. واذ كانت درجة المصلح عالية كان الاقربون منها أقل من الابعدين. ولولا أن للاصلاحات قوة تؤيدها لتلاشى كل اصلاح قام به مصلح منذ الدور الاول حتى هذا الدور. ولكن تلك القوة المؤيدة هي التي تقوم للمصلح ومن يقاربه مقام الكثرة فقد تكون عظيمة ويطيف من الاصلاح بنفوس المفسدين خطرات موقظة من عجمة فتجذب فريقا منهم وترجعهم عن غيهم. وقد تكون ضعيفة ويطيف بنفوس المفسدين طائف

إهداء شبكة الألوكة www.alukah.net

من الروح الخبيث فيهلك المفسدون دعاة الاصلاح ومتبعيهم . ولكن لا يلبثون بعدهم الا قليلا حتى تبيدهم طبيعة الفساد لتقوم الحاجة فيما بعد .

وهذه خلاصة هذا الامر : (١) انه في القديم فسدت العشائر (٢) فقام في كل قوم مصلح منهم . (٣) فلم يؤمن للاصلاح الا قليل (٤) وزاد المفسدون (٥) فأبادت طبيعة الفساد من أبادت منهم من الطاغين (٦) واعتبر آخرون (٧) ثم نسوا ما ذكروا به فأصابهم ما أصاب الاولين (٨) لتكون آية في الآخرين (٩) وما برحوا حتى تواترا لهادون (١٠) وعلا شأن الميزان والوازنون . (١١) وخسر هنالك الطاغون والمطففون . « الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .

هذا هو تاريخ هذا الامر فيما قبل التاريخ . واما من بعد ذلك فلكل أمة كتب منكم من يعلمها تقص عليهم أنباء مصلحين عرفوهم ولم تعرفهم أمة أخرى .

والجدير بالذكر بعد كل ماتقدم أن الدعاة الهادين الذين قاموا في أقوامهم بألسنتهم قد أثمر عملهم من بعد حين ثمرة كبيرة جدا وهي ربط أقوام كثيرين مختلفي الانساب واللغات بمبادي واحدة يدينون جميعا بها حتى يكون اسم امامهم فيما بينهم جميعا مقدسا بل حتى يكون حلف الشغاف من أفئدتهم ، وعمدة الحلف والاقسام في ألسنتهم ،

مثل هذه الحال من قوم أو أقوام ، تقوي بينهم أو أصر القلوب ووشائج الافكار وهي أهم من أواصر الابدان ووشائج الارحام

هذه هي القرابة التي تقرب البعيد ، وتحبب بالغريب ، وتحمي الضعيف ، من كيد القوي . هذه رابطة الدين ان سألتم عن اسمها ، واحدى مراقي الانسانية ان سألتم عن رسمها .

وقد عرفتم الآن كيف كان كونها ، وكيف صار لونها ، وأوصيكم أن لاتجمدوا ونظنوا أن وحي الانبياء هو من قبيل ماذكرنا فقط . بل هو من أفق آخر أعلى . أتيناكم من أجله بالاشباه والامثال ، وأرينا كم في مرائي الكون الانساني أسفل سافل وأعلى عالي ، ومن لم ير ينابيع العيون الصغيرة قربا لايعرف كيف تتفجر الانهار العظيمة من الارض وقد يظنها من السماء . وانما الفرق بينها وبين الصغيرة بحسب المادة فتفكروا وتذكروا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعنى الدين الطاعة للتعاليم ويتكون من هذه الطاعة العمومية قوة يكون عظمها على مبلغ أهليها من قوة الابدان والعقول والقلوب وكثرة الافراد. وكيف ما كانت فان هذه الرابطة تقضي ان يكون الكل في أنفسهم وامام غيرهم كرجل واحد. ويظهر ان من مقتضياتها ايجاد ثانية كبرى تتضاءل بل تتلاشى فيها الفيرية حتى لا يكون لامة غير. ولكن هذا الاتم من جهتها حتى يعلم افراد كل أمة حق العلم ماهو الجوهر الحقيقي للدين القويم. ويعملوا حق العمل بما يطبع في النفس ذلك الجوهر المطلوب.

وقد استبعد هذا القوم فحكموا ان الاديان لم تزد الناس الا تعادي وزعموا انها لم تك الا زيا آخر من أزياء رابطة القومية مزركشا قليلا بما هذبت فيه يد التجارب وتقموا منها تضييق الدائرة على الناس في تصوراتهم وفي عاداتهم وأعمالهم بكثرة ما يأتيهم مؤسسوها من فروع الامر والنهي. والقطع والجزم. في مسائل يحتاج في ادراك اسرارها الى تبصر عقل سليم، وتروي ارادة معتدلة. ويغرق هؤلاء بما تصف ألسنتهم وأقلامهم من الاديان حتى يبعدوا عن الحكمة وهم يظنون القرب منها. ويضلوا الحقيقة وهم يرون انهم وجدوها.

ولذلك ناسب ان نأتي في نبذتنا هذه بما يفند من مزاعمهم ونبين لهم ولغيرهم منشأ هذه المزاعم ليتفكر من يتفكر، ويتذكر من يتذكر.

ثمة بقية (ع. ز)

بلرم - صقليه

٣

(مسينا ومقبرتها)

نسبت ان أضع في جانب المقابر مقبرة مسينا وهي مقبرة في الجنوب الغربي من المدينة وانك اذا قلت لصقلي: اني ذاهب الى مسينا: يقول لك في الحال: لا بد ان ترى المقبرة: وهي جزء من المدينة تحسب مدينة بنفسها فيها مدافن للامراء والاعيان مبنية على أجمل نظام وأقربه الى السذاجة وفيها مكان شامخ رفيع يدفن فيه أرباب الشهرة من المهندسين والشعراء ونحوهم. وطريقة الدفن في تلك الاماكن تختلف فبعضها على الطريقة المعهودة من وضع صندوق الجثة تحت الارض وبعضها بوضعه في صندوق ضخم كبير لا يمكن سرقته على ظهر الارض، وبعضها في بيوت تفرض في عرض الجدر العريضة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا . والمقبرة مزينة بأغراس من شجر الصنوبر وضرب من فصيلة الصنوبر يشبه الاثل وليس به ولا أعرف اسمه بالعربية سوى انه شيء من كبار الطرفاء لكنها نظمت بيد أوربية تعرف كيف تخضع النبات لارادتها فتوجهه الى الوجهة التي تريد . والطرق فيها على غاية ما يرام من النظافة والانتظام، وهي انظف وأجمل من كثير من شوارع مدينة لاحياء (مسينا) ثم انها تأخذ من أسفل الطريق الى قمة جبل اذا صعدت عليه نظرت وأنت في المقبرة من البحر والساحل أجمل ما تنظر عيناك من اللألاء والنضرة في المواقع المختلفة ، ومن الاشكال الطبيعية، وبدائع الاعمال الصناعية ،

يظهر ان المقبرة أعجبتني حتى انطلق قلمي في وصفها كأنه قلم صاحب جريدة ينطلق في السياسة المصرية لبيان مناحيها، ووصف نواحيها ؛ — أعوذ بالله — يوجد في هذه المقبرة مواضع مخصوصة للفقراء قد صفت فيها قبورهم على نظام محكم تراها كأنها خطوط مزارع القطن في أرض غير معتدلة تقصر وتطول وعلى رأس كل قبر صليب أسود يخيل للرائي من بعيد أنها أجنحة الغربان الجاثمة على بقايا الجثمان . لا ازال في وصف المقبرة كما لا يزال بعض الغافلين عن أنفسهم في بلادنا يشتغلون بالسياسة عن الادب والكياسة

ماذا أقول في وصف هذه المقبرة ؟ مدينة جميلة المناظر ، بديعة المداخل ، بعيدة المخارج ، الداخل فيها أكثر من الخارج منها ، قد اختير لها شجر الصنوبر زينة من بين الاشجار ، لانه في خضرة دائمة وحياة مستمرة ، كأن ارواح من يموت تنتقل اليه بعد مفارقة الاجساد فهو لا يزال دائم الحياة في الصيف وفي الشتاء والخريف والربيع ، مدينة زينها الاحياء في حياتهم، ليعدوها لاقامتهم — فيما يزعمون — بعد مماتهم، وهكذا من كان على يقين من الرحيل الى دار هيأ تلك الدار للسكنى وأعد لنفسه فيها أنواع النعيم ليطيب له المقام ، ولا يقلق به المكان ؛ لكن هل يكفي أن تزين لنفسك مقرا لجثتك وأنت لا تدري هل تشعر هناك بما زينت ، أو تؤخذ عنه اذا مت ، فهل زينت دارا لروحك بالطيبات ، كما زينت دارا لجثتك بالزهر والنبات ، ؟ أخاطبك وأنت مصري من سكان القاهرة لا ترى في مقبرتك ولا في الطريق الموصلة اليها الا ما يخيفك من الموت وينغصك فيه ؛ غمر من الغبار ، وتلول من التراب ، تتذكر بها انك من التراب والى التراب ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اذا بنيت فيها مسكنا فلست تبنيه لنفسك يوم تموت ولكن تبنيه لتقيم فيه بعض الاموات وتشاركهم في المسكن وأنت حي تقضي فيه الايام من رجب ومن شعبان ومن شوال ومن ذي الحجة وبعض أيام من بقية الشهور تأكل وتشرب وتنام ولا تشبه جيرانك من أهل المقابر الا في النوم الثقيل ولا تستحي من معاشرتهم وأنت تأكل وهم لا يأكلون، وتضحك وهم ربما يبكون، وتلعب وهم لا يلعبون، تلهو بالقيل والقال، وملاعبة النساء والاطفال؛ وربما أقمت في المقبرة متسميه بالمولد وجابت بذلك اليها من المغنين والمطربين والعازفين، ونصبت فيها الخيام، وصنعت من لذيذ الطعام، ما تدعو الى تناوله العلماء الاعلام، والاتقياء الكرام. فيلبوا دعوتك زرافات ووحدانا: مشاة وركبانا، ويخوضون في غمار اللاهين الى ان يصلوا الى حيث نصبت خيامك، وهيأت طعامك، على ظهور الاموات، وبجوار تلك الرفات. وتبيت ليلتك تلهو وتلعب، وتصيح وتصخب، كأن الموت قد فارق ديارك، وكرم جوارك، وفر من بين يديك، مشمئزا مما يراه لديك؛ اما مقبرة مسينا فلا ترى فيها آكلا ولا شاربا ولا تمارى الزائرين في سكينة ووقار لا يتكلمون الا همسا، تماشيهم ولا تكاد تسمع لهم جرسا.

﴿ صحب الصقليين وتسولهم وكسلهم ﴾

أهل مسينا من اهالي سيسيليا وسيسيليا هي جزيرة صقلية التي ملك فيها العرب نحو مئتي سنة وكان منها كثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة والصوفية وبعض الزنادقة وكل صنف من صنوف أهل العلم والمنتسبين اليه كما كان في العراق والشام والاندلس. وقد ترك العرب آثارا في البلاد منها ما تقدم ذكره وهو مما لا يذكر ومنها كلمات في لسانهم كثيرة كالشروق للريح الشرقية وكالقبة والطلمة والشر ونحو ذلك من الكلمات التي ترشدك لأول وهلة الى أصلها والى البلاد التي حملت منها. ولا أظن ان الصياح والصخب الذي اختص به اهالي سيسيليا يكون من ميراث العرب رحمهم الله فان اصوات السيسيليين أشد قرعا، وآلم في الاذن وقعا. واني لا أشك في ان حناجرهم أشد تمرنا على الصراخ بغير داع من حناجر أهل كفر الجاموس (*) أو سكان عرب يسار، أما العرب فكانوا يصيحون في الحرب والجلاد، ويسكتون عند الرجوع الى البلاد. ولعل هؤلاء استعملوا

(*) كفر الجاموس مزرعة بالقرب من عين شمس في ضواحي مصر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في السلم ما كان يستعمله أولئك في الحرب كما يفعل بحرية يافا وبيروت من ثغور سوريا أما الاهمال والكسل فلا أدري هل هو من طبيعة البلاد أو من ميراث تركه بعض السلف من الفاتحين ؟

ويل لك اذا عرفت بأنك غريب فانه يتبعك السائلون الملحفون ، والمكتدون المجدون ، ويلزمونك حتى تعطي شيئا من النقد ، ولا فرق في حالك بين ان تجلس في قهوة ، أو تكون في زيارة معبد ، أو في تفقد مكتبة أو دار آثار ، تجد من ذلك مالا تجده عند المتبولي ولا عند ضريح الاستاذ اليومي (رضي الله عنه) ثم تجد الناس في الساحات وقوفا أو جوالين لا يدرون ماذا يعملون وانما يتقرب الى الغرباء من يظن القدرة في نفسه على ان يفترس منهم فريسة لكن يمكنك ان كان عندك صبر أيوب وسماجة بعض السابين عندنا من المصريين أو السوريين ان لا تعطي شيئا أو تهرب اذا أردت

لعلك تفرست شيئا من الكسل في حكاية ماوقع في فهرس الكتب العربية في المكتبة العمومية ، ودفتر الاسماء في دار المحفوظات ، وأزيدك انك اذا ذهبت عند شركة الملاحة (بكسر الميم وتخفيف اللام لا الملاحة بفتح الميم وتشديد اللام كما يقول بعض أكابرنا فان التشديد يجعل الكلمة موضعا للملح الذي يوضع على الطعام ويتناول أحيانا للاسهال . أما التخفيف فهو اللازم في اسم الشركة لخفة مراكبها في السفر على البحر المالح وأظن اللفظ يرجع أيضا الى رفيقه فان في البحر ملحا أيضا لكنه ليس بكثير كالذي في تلك الكلمة المشددة) وجئت مكتب الشركة لتطلب تذكرة سفر مثلا تجد العامل يحرك يده ببطء كأن بعض أجزائه ينازع بعضا فاذا فرغ من الكتابة على هذا الوجه القتال أسرع بمد يده اليك لطلب المبلغ فاذا دفعته اليه وكانت لك بقية من النقد يلزمه ردها اليك كادت يده تشل بجانبه وأنت تنظر اليه وتنتظر أن تتناول مالك وتنصرف وهو ينظر اليك كأنه يتمنى ان تنسى مالك عنده أو تمل الانتظار ويأخذك الوقت فتتركه له وهذا ضرب من الكسل في أداء الحق ونوع من البطء في العمل لا تجده حتى في مصر حرسها الله فان العمال عندنا حتى في زمن الصيف لا يسمحون لاعضائهم ان تعود هذه العادة الرديئة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ رثاثة الصقليين ووساختهم ومقابلتهم بالمصريين ﴾

امار ثاثة الملابس عند الفقراء ودنس الثياب وعدم العناية بالنظافة في كثير من الشئون فذلك مما لا نجد له مثالا في كثير من الاحياء عندنا . واني أقص عليك فكاهتين وقعتا في النزل الكبير التي نزلت فيه — رفع الله عماده — كنت أطالع في جريدة خطابا ألقاه بعض أساتذة السوربون في باريس لمناسبة رفع تمثال للكاتب المؤرخ الفرنسي رنان القاه في بلدة رنان التي ولد فيها وكنت مستغرقا فيما يقول الخطيب عن القيسيين وتعاليمهم وعن الاحرار اطال الله في السنتهم وما يرونه في فلسفتهم واذا بخادم النزل دخل علي وتحت ابطه ولد صغير في الخامسة من سنه تقريبا وقد علا الوسخ وجه الصبي وهجم القذر على عينيه يريد أكلهما . وانفه وفمه يسيلان ذلك مما تعرف وهنا مما لا يخفى عليك ويده عنقود عنب يتناول منه حبة بعد حبة وماء كل حبة يسيل من شدقيه اذا رأيته امكنك ان تحلف بشيء من الطلاق أو العتاق ان أمكن ان هذا من ذرية الشيخ الدعكي رحمه الله أو ان روح الاستاذ ظهرت في مظهره اللطيف ، واذا كنت واحدا من بعض الاعيان أو بعض من يزج بنفسه في العلماء الذين تعهدهم أقسمت في الحال انه ولي من الاولياء مجذوب من المجاذيب . فاذا ذكرك مذكر أنه إيطالي قلت لا يبعد على الله ان يكون قد ملأ قلبه جذبا وولها ورزقه من ذلك في صغره ، مالم ينله الدعكي في كبره ، والا فكيف تسيل سعايبه الى هذا الحد ويكون ليس بمجذوب ؟ هذا خلف . وربما حملك حسن الاعتقاد على ان تذهب الى المحمل الذي تعرفه وتستخرج من بحر الانساب ما يصل نسبه بمن لا يصح لاحد ان ينتسب اليه مادام على مثل هذا الاعتقاد . فانظر ما يشك الى هذا الطباق والتقابل بين ما كنت مستغرقا فيه وبين ما فاجأني من هذا المنظر الكريه ، هل يمكنك ان تحدث نفسك بماذا دافعت عن نفسي في هذه الشدة ؟ دفعت فرنكا واحدا رميته على الارض فالتقطه الصبي كما يلتقط العصفور حبة الارز وكر راجعا لا يبالي بتاخر أبيه عنه ليشكرني على ذلك الاحسان كأن الصبي كان يخاف ان أتبعه لاخذ الفرنك منه . لا تظن أني أبالغ في كلمة مما قلت فما رأيك بهذه الوساخة ! :

اما الفكاهة الثانية فقد كنت على مائدة الطعام في محل نومي من ذلك النزل لقلة السياح وسعة قاعة الطعام بحيث تكبر عن ان يجلس فيها شخص واحد فلما جاء صنف من الطعام يحتاج الى الملح تنبهت الى الملاحة (هذه المرة بتشديد اللام لان فيها ملحا) كما ترى . نظرت الى الملح فاذا فيه النقط السوداء أكثر من نزغات الشيطان في قلوب أهل الفسق والعصيان ، وأغزر من الخطيئات في بعض المزارات ، فنظرت الى الخادم وأخذت الملاحة وأنشأت أنكت ما فيها من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القط السوداء نكتة نكتة وأصعد نظري في وجه الخادم وأقلب وأظهر التقزز ولا زلت كذلك حتى فهم أن هذا شيء من الوسخ لا أستطيع تناوله فعند ذلك تناول في الملاحة بغاية الكسل ثم ذهب وأطال الغيبة وبعدما كدت أغضب مع سعة حلمي في السفرجاء بملاحة أخرى أوسع من الاولى وأظهر منها ملحا فكأنه يفهم أن الوساخة مما لا يليق لكن لا يتم له هذا الفهم الا اذا قال له شخص آخر ان النظافة خير منها وان الوسخ شيء تتقزز منه النفس وينفر منه الحس .

اما مثال هذه الواقعة الثانية فما يكثر في خدمنا بل في بعض سادا تنا رقهم الله حياتهم فانهم ينظرون بأعينهم الى الخبيث والخبائث وربما حكموا فيه بوصفه لكنهم لا يتزهون المكاره عنه بل ربما لا ينزهون أنفسهم عن اللوث به الا اذا أمرهم بذلك آمر فعند ذلك يمتثلون الامر بغيرة المختار وعزيمة الجبار ثم يحدثك أحدهم بحسن ما يصنع مما أمر به كأنه هو الذي اندفع اليه من نفسه كأن الامر الصادر اليه هو الذي أكسب الشيء حسنه وحلاه بوصفه . وأعوذ بالله أن يكون هذا هو مذهب الاشاعرة الذين يقولون ان حسن الفعل هو الامر به وقبحه هو النهي عنه وانه لا حسن ولا قبح للشيء في ذاته فاني على يقين أنهم لا يدينون به ما يجده اولئك الآلات في أنفسهم . وما عليك الا أن تبحث في رأي الفريقين حتى تقف بنفسك على تحقيق الشبه أو نفيه فاني الآن لا أكتب كتابا في علم الكلام ، ولا أكتب اسطري هذه الا فاضل من أهل الفن فانهم أعلى من أن يستفيدوا من قراءة امثال هذه القصص أوسع الله من عقولهم حتى تسع أهالي بلدنا ومسيناما وما ذلك على الله بعزيز

الذي يخطر ببالي من أسباب ذلك اذا أخذنا بالجد أن هذا شأن العامة من الامم التي طال فيها زمن الاستبداد وتصرف الارادة الواحدة في جميع الارادات مع ما يطرأ على تلك الارادة الواحدة من الاختلال وفساد المزاج فتأمر بالشيء اليوم لانه من هواها ، وتنهى عنه غدا لانه لم يبق من مشتهاها ، وأمرها واجب الاطاعة ، وفي مخالفته إضاعة أي اضاعة . فتعود الانفس على تعاطي الاعمال لا لأنها مما تختاره بل لانها مما تؤمر به ، ويخفى عليها وجه الحسن والقبح لأن التعود على العمل مهما كان قبيحا يزينه للنفس أو يسهل عليها مفارقته . وسهولة المفارقة انما تنشأ عن عدم الاحساس برائحة القبح ولو بقي نتنه في شامة النفس لما فقه ولما أمسكها تعاطيه . وكذلك يخفى وجه الحسن في الشيء متى خفي وجه القبح في ضده كما لا يخفى عليك ان كنت من المدققين خصوصا في علم أصول الفقه الحنفي وقرأت ما كتبه العلامة الفنري والمحقق المفيد وغيرهما على التلويح للعلامة الثاني سعد الدين التفتازاني حاشية

التوضيح على مختصر البزدوي . اما اذا سألتني عن العلامة الاول في مقابلة العلامة الثاني فاني لا أذكره الآن وان صدق ظني يكون هو عبد القاهر الجرجاني ولكن الافضل لك أن تسأل شخصا آخر من مدرسي حاشية التجريد للبناني فان من يقرأ هذه الحاشية يسهل عليه وزن العلمين، وتحديد الفرق بين العلامتين . — وربما قال لك ان الاول هو القطب الشيرازي لان سهولة كلام الامام عبد القاهر وسلاسته تمنعهم من جعله العلامة الاول — وان شئت ان لا تشتغل بهذه المسألة فهو أفضل من ذلك الافضل ويكون أفضل التفضيل الاول على غير بابه والسلام . وانما المهم فيما نحن بصدده ان الارادة السليمة ، والطبيعة المستقيمة، تمكنها أن تميز الملح النظيف من الوسخ وتمشي بتقديم النظيف الى الضيف من أول الامر، بدون احتياج الى اصدار أمر، وقس على على ملح الطعام بقية الاملاح كالنحو ملح العلم والعلماء ملح العالم وهكذا كل ما يحتاج اليه في اصلاح الاغذية بدنية كانت أو روحية دنيوية كانت أو دينية . اما اذا كنت لا تميز ولا تفهم الا بأمر فتربص حتى يأتي الله بأمره والله شديد العقاب

باب الاحتفال بالأعياد

﴿ الاحتفال لتذكار تأسيس الدولة العلية ﴾

نرى الاوربيين في مصر يحتفلون في كل عام احتفالات عمومية لدولهم أهمها الاحتفال للجمهورية الفرنسية والاحتفال لاستقلال ايطاليا وان لهم في بلادهم من العناية بذلك اضعاف ما نرى منهم في بلادنا حتى انهم ليحتفلون للرجال العظماء الذين خدموا الامة خدمة جليلة . وبلاد مصر عثمانية ولكنها مستقلة عن الدولة في ادارتها وعامة شئونها وقد زال على عهد الاحتلال أكثر ما يذكر المصريين بها حتى لقد كانت التركية الزامية في مدارس الحكومة المصرية ثم صارت اختيارية ثم اضمحلت وتلاشت . وقد استحسن نفر من نجباء الترك المقيمين في القاهرة ان يحتفلوا في كل سنة بتذكار تأسيس الدولة العثمانية وتكونها في مثل الوقت الذي نودي فيه بعثمان الاول سلطانا وكان ذلك في ٤ جمادي الاولى سنة ٦٩٩ للهجرة الشريفة الموافق ١٧ يناير سنة ١٣٠٠ ميلادية وقد جعلوا هذا الاحتفال الاول على الحساب الميلادي ولا أدري أكان ذلك عن اختيار للحساب الميلادي لانه بالاشهر الشمسية أم السبب فيه ان الفكر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أو العزم على الاحتفال كان متأخراً؟ والرأي الذي لا ينبغي التردد فيه ان يكون الاحتفال بعد هذا العام على الحساب الهجري

تألفت لجنة في ادارة جريدة (ترك) لاجل هذا الاحتفال فوضعت اللجنة قانونا لتأسيس جمعية خيرية للعثمانيين الذين ليس لهم جمعيات خيرية في مصر وهم المسلمون على اختلاف شعوبهم ولغاتهم فان للنصارى العثمانيين جمعيات كثيرة منها عدة جمعيات للسوريين خاصة واحدة للموارنة وواحدة للروم الارثوذكس وواحدة للروم الكاثوليك . والسبب في ذلك ان المسلمين متأخرون عن جميع أبناء الملل في الاعمال الاجتماعية حتى ان مسلمي مصر لم توجد لهم جمعية خيرية الا من عهد قريب وكان سبب ايجادها مشهود أفرنجي ولكن قيض الله تعالى لها أفضل رجال مصر في هذا العصر خلقا وهمة فثبتت بثباتهم على شدة سعي المسلمين أنفسهم في اسقاطها ولو لم يكن لها مورد الامن اشتراك المشتركين فيها لسقطت من زمن طويل فان الرجل الغني يشترك فيها وتمر عليه السنين النطوال ولا يدفع المبلغ الذي تبرع به وفرضه على نفسه . هذا وهم يرون كثرة الجمعيات المسيحية ويساعدونها . وقد قضت الصعوبات التي مارسها الذين نهضوا بهذه الجمعية والوشايات التي وجهت اليهم من المسلمين — ومنها اتهامهم بأنهم يساعدون مهدي السودان في وقته — ان يجعلوها خاصة بمسلمي مصر فأصبح سائر المسلمين العثمانيين لا ملجأ لمن يصاب منهم أو ينكب في هذه البلاد التي لا تزال أوربا تعترف بانها عثمانية . لهذا كان تأسيس جمعية خيرية لمسلمي العثمانيين من أفضل الاعمال الدالة على ان روح الحياة الاجتماعية دبت في المسلمين أي في بعضهم ، ولكن أعداء أنفسهم من المسلمين سيسعون في ابطال هذه الجمعية ويتهمونها بمثل ما اتهموا بها أختها المصرية من قبلها ونسأل الله ان يقيض لها من أهل الجد والثبات ما قيض للتي قبلها وان يهيئ لها أسباب النجاح والفلاح

دعت اللجنة نحو ثمانين رجلا من العثمانيين من جميع الاجناس الى فندق الكونتيننتال ، وأعدت لهم هناك مأدبة كأحسن ما يؤدب للامراء والأقيال . وبعد الفراغ من الطعام ، افتتح رئيس الحفلة الكلام ، (هو لطيف باشا سليم) فذكر ان الغرض من الدعوة قد عرف من الرقاع التي أرسلت الى المدعوين وقال انه دعي الى رياسة الاحتفال الحاضر ولا يدري السبب في ذلك ثم تكلم كلاما وجيزاً في سبب ترك مثل هذا الاحتفال في الاحقاب الماضية : والسنين الخالية . أيام عز الدولة ومجدها ، وبزوغ شمس سعدها ، والقيام به في مثل هذه الايام ، وقد انحطت الدولة في نظر الأنام ، فقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماخلاصته: ان الذي يسبق الى الأفهام ان الاحتفال باستقلال الدولة العلية الآن ينطبق على المثل « بعد خراب البصرة » فان هذه الدولة التي أسسها قوم ساقهم حب المعالي الى إذلال الامم ودوس هام الدول بسنابك خيولهم فأقاموها بالقوة القاهرة والسيوف الباترة قد وصلت الى درجة من المجد والفخر لا تعلوها درجة ولم تحتفل في أيام عزها أحد بتذكار استقلالها . ثم طرأ عليها الترف والفساد فضعفت وانحلت وقامت دول الغرب تهددها بالحرب والاقتراض — وذكر من مجد دول الغرب وتقدمها — وفي هذه الحالة التي نرى فيها الدولة في النزع نحتفل بتذكار استقلالها. ألا يصح أن يقال ان هذا « بعد خراب البصرة » (قال) ماذا نريد بهذا الاحتفال الآن هل نريد أن نفتخر بمجد مضى وانقضى ونغش أنفسنا ونخدعها بما لا يغني عن ضعفنا شيئا؟ أم نريد ان نرثي الدولة ونؤبنها ونبكي على عزها ومجدها ؟ ثم قال انه لا يريد ان يحيي الحاضرين ويوقعهم في اليأس فانه يوجد في العثمانيين الآن من الفصحاء وأصحاب الاقلام من يرجى فيهم الخير للدولة. وختم كلامه بقوله انه قد أسست في القاهرة جمعية خيرية وأشار الى قانونها بين يديه وان جمعية الاحتفال عهدت اليه بأن يكلف جلال الدين بك عارف بالقاء خطبة تركية وصاحب المنار بخطبة عربية . فقام جلال الدين بك فتلا خطابا مسهبا مكتوبا في ورقات صفق له القوم في أثنائه مرارا. ثم قام هذا العاجز منشئ المنار وخطب خطبة عربية ارتجالية سر العثمانيين عامة والمصريين منهم خاصة اعتدالها واختتامها بالدعاء للسلطان عبد الحميد أيد الله دولته ولم يذكر اسم الرئيس والخطيب التركي.

وقد لخصت بعض الجرائد الخطبة فرأينا ان ننقل تلخيص جريدة الراوي لانه لم يكد يغادر من الافكار الاساسية التي قلناها شيئا مهما الا قولنا ان العثمانيين أنشأوا يشتغلون بتحصيل العلم لما علموا انه في هذا العصر قوام الدول وأساس القوة لذلك نقتبس كلتين مما جاء في تلك الجريدة ولنا الحق في ذلك لانه كلامنا وهو :

نحتفل اليوم بتذكار استقلال دولتنا العلية العثمانية وقد دعيت الى الخطابة فرأيت ان أبني على ماقاله سعادة رئيس الاحتفال في فاتحة المقال وهو كلمتان — كلمة في معنى الاحتفال وكلمة في الدولة التي نحتفل لذكرى استقلالها وتكوينها

انما يراد بالاحتفال احياء الشعور بمجد من يحتفل لاجله والتذكير بتاريخه المجيد، وهل نحن اليوم في حاجة الى احياء هذا الشعور وتجديد هذه الذكرى ؟ وهل لدولتنا العلية تاريخ مجيد تستحق به أن يحتفل لتذكار تاريخها وتمثيل ماضيها ؟ ولماذا لم يسبق للعثمانيين مثل هذا الاحتفال في الزمن الماضي

لاشك اننا اليوم أحوج الى مثل هذا الاحتفال منا في الزمن الماضي أيام مجد الدولة الأكبر فان احياء الشعور بمجد الدولة وتذكر تاريخها يبعث فينا روح النهوض لتأييد استقلالها ، وتدارك مافرط من خطأ بعض رجالها ، وأما سبب تأخيره الى اليوم فهو ان مثل هذا العمل لم يكن يمهد في بلادنا وانما هو شيء استفدناه في هذا العصر من الاوروبيين فانا نرى القوم يحتفلون للتذكير بقيام دولهم وباعمالها العظيمة ويحتفلون مثل ذلك لرجالها العظام من الفاتحين وغيرهم

وللدولة العلية العثمانية اسم عظيم في الدول ولها تاريخ مجيد يحق للعثماني ان يفتخر به ، يعلم ذلك من النظر في كيفية تكوينها ومن سيرتها الحميدة في نشأتها

يذهب الذين لا يعرفون من التاريخ الا ظواهره الى ان هذه الدولة قامت بالقوة والقهر والصواب انها قامت بالفضيلة فان تلك الفئة التي جاءت مع أسرة السلطان عثمان الاول من بلاد ارمينيا الى بلاد الاناطول ونصرت السلطان علاء الدين السلجوقي وايدته ثم بنت دولة عظيمة على اطلال دولته بعد سقوطها لم تكن من القوة والكثرة بحيث تملك بلاد الفرس وبلاد الروم وجزءاً عظيما من بلاد أوربا . واننا نعلم ان السلطان محمد الفاتح قد حاصر القسطنطينية العظمى بثلاثمائة رجل ونيف على عدد اهل بلد (رض) تقريبا ثم فتحها وهي أمنع مدينة في الارض وأهلها كانوا اكثر من الترك عدداً وأحسن عدداً وأكثر اطلاعا وعلما . ولكن العثمانيين كانوا متصفين بالفضائل التي أهمها الاتحاد الذي كان الروم محرومين منه يومئذ . فقد نقل انهم كانوا يتنازعون في المسائل الدينية والفاتح على اسوار المدينة حتى ان بعض رجال الدين قال : لأن أرى تاج السلطان محمد في مذبح كنيسة أياصوفيا أحب الي من ان أرى فيه كمة (طاقية) على رأس كردينال من كرادلة الكنيسة الغربية

لا تعجبوا من القول بان الدولة قامت بالفضيلة لا بمجرد القوة والقسوة فان القوم كانوا في حال بداوة فجاءهم الاسلام فجمع كلمتهم وهذب نفوسهم حتى كان ملوكهم الاولون على مقربة من سيرة الخلفاء الراشدين فقد نقل المؤرخون ان المؤسس لهذه الدولة السلطان عثمان الذي ترون صورته امامكم الآن لم يترك لورثته الا لحية وعمامة مضرجة بالدم والمعهود في الفاتحين المؤسسين للممالك بالقهر والقسوة ان يتركوا القناطير المقنطرة من الذهب والجواهر والاثاث والماعون

اما سيرة هذه الدولة الحميدة فانها تعلم من النظر في وجه حاجة الانسانية اليها عند تكوينها ومن سيرتها في بلادها . اما وجه الحاجة الى دولة مثلها في زمنها فانه

أيها السادة تعرفونه من الوقوف على تاريخ الامم التي تأسست الدولة في بلادها

هذه الدولة مؤلفة من أمم وشعوب وقبائل لها لغات مختلفة واديان مختلفة ولكن الدولة مسلمة واكثر شعوبها اسلامية وأهم عناصرها الاولى المسلمون والروم. فاما المسلمون فقد كان ملكهم تمزق كل ممزق فاما الدولة العباسية فقد كان التتار قوضوا صرحها ثم زحف الصليبيون على بلادها من كل جانب وأما الدولة الفاطمية فكانت أيضا قد زلزلت زلزالها ، وهددت من الصليبين بزوالها . ولا أعد ملوك الطوائف والممالك في عداد الدول فانهم كانوا أشبه بالبيوت (العائلات) منهم بالدول — يقوم في البيت رجل عظيم فيجعل له ذكراً ومجداً ثم يسقط فيسقط البيت بسقوطه ولا يبقى فيه الا اثره . فدول الاسلام قبل العثمانيين ثلاث الاموية والعباسية والفاطمية وقد كانت هذه الدول اضمحلت وذهب الرجاء منها وبذلك كان المسلمون في حاجة الى دولة جديدة تجمع كلمتهم وتحمي حوزتهم

وأما الروم فقد كانوا في ذلك الوقت أسوأ حالا من المسلمين ولولا ذلك ماتيسر للترك تفريق شملهم والاستيلاء على بلادهم وفتح عاصمتهم بعدد قليل . ذلك انهم لم يكونوا أقل من العثمانيين عدداً ولا علماً بالحروب وانما كان ينقصهم ماكان عند العثمانيين من الفضيلة والوحدة فان فساد الاخلاق والتنازع في الدين لا يبقى للامم بقية

سار العثمانيون في تأسيس دولتهم بما تقتضيه الفضيلة الاسلامية من العدل بالنسبة الى غيرهم من الدول الفاتحة فقد اقروا أهل الملل المخالفة لملتهم على اديانهم ولغاتهم وعاداتهم بل جعلت لهم امتيازاً يتمتعون به الى الآن حتى انهم يفضلون المسلمين في ذلك ببعض الامور . وكان يسهل على هؤلاء الممتازين ان يرتقوا في ظل عدل هذه الدولة وفضلها وتحت حمايتها الى أقصى ما في استعدادهم

فدولة لها مثل هذا التاريخ المجيد يصح لابنائها ان يفتخروا بها على اختلاف مللهم ونحلهم وان يحتفلوا لتذكار تأسيسها واستقلالها . ونعود الى ذكر فائدة الاحتفال

قلنا ان الفائدة في هذا الاحتفال هو احياء الشعور بمجد الدولة والتذكير بتاريخها لاجل السعي في استحياء ماكان نافعاً واجتناب ماكان ضاراً . وقد تكلم رئيس الاحتفال عن ضعف الدولة واحاطة الاخطار بها تنبيها وتذكيرا ولكنه لم يوقفنا في اليأس بالمرة فقد أعرب عن رجائه ببعض فضلاء الامة . ونزيد على ذلك فنقول انه لا يأس من الدولة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فانها بفضل الله لاتزال ذات قوة عسكرية يتهيبها الاعداء وهي قادرة على حماية الامة وانما ينقصها قوة هي أم القوى في هذا العصر وهي قوة العلم والصناعة

قلنا ان هذه الدولة قامت بقوة الفضيلة الفطرية والدينية وقد كانت هذه القوة كافية لسيادة صاحبها على جميع الامم اذ كانت متساوية في الجهل . ولكن الزمان قد تغير وصار كل شيء فيه مبنياً على العلم والصناعة ولذلك تأخرت الدولة عن غيرها فانها لم تكن في يوم من الايام دولة علم وكيف تكون دولة علم وهي لم تكن لها لغة الا اللغة البدوية التي لاقواعد لها ولا تتسع للعلوم والفنون . ان اللغة العثمانية العذبة التي تعلم الآن قد وضعت قواعدها النحوية والصرفية اثناء القرن الماضي فأين العلم من أمة واقاها القرن الماضي وليس لها لغة تعلم بالقلم والكتاب؟

فأساس الاصلاح الذي نطلبه لحفظ استقلال الدولة هو العلم . فالعلم هو الذي يقوي شوكتها والعلم هو الذي ينمي ثروتها والعلم هو الذي يجمع كلمتها . ارأيتم هذه الشعوب المتفرقة والملل المختلفة لايمكن ان تكون أمة واحدة الا بالعلم . العلم هو الذي يقرب بين البعداء ، ويصل الافكار بالافكار ، وهو الذي يمتاز به الانسان فكل من كان اقرب مني فكرا كان أقرب مني وداً واني لأفضل معاملة من لاتجمعني به غير صلة الانسانية على معاملة من تجمعني به كل صلة حتى صلة الدين والنسب القريب اذا كان الاول قريبا مني بفكره وقلبه ، والآخر بعيداً عني بعقله وقلبه ، لكن العلم الناقص ربما كان شراً من الجهل البسيط فان الجاهل البسيط يكون على شيء من سنة الفطرة يستقيم به عمله بعض الاستقامة ولكن ناقص العلم لايستقيم على الفطرة ولا يحسن الصناعة العلمية

أقول هذا لاني أرى كثيراً من الناس يحصرون السعي في اصلاح الدولة بالانحاء على القابضين على زمام الاحكام فيها وما هؤلاء الحكام الا طائفة من الامة فاذا صلحت الامة بالعلم والتهذيب فانها تصلحهم لامحالة . تشكو الامة من الحكومة وانا لسنا أمة في الحقيقة ولا يمكن ان تكون أمة الا بالعلم والتهذيب العام والدولة غير قادرة على تعميم التعليم فعلى العقلاء منا ان يسعوا في ذلك لاجل تكوين الامة . ان لنا صورة الامة وهي الافراد المجتمعة ولكن ليس لنا معناها وهو الافراد المتحدة . فاذ كانت هذه الصورة التي أمامكم هي السلطان عثمان مؤسس الدولة فهؤلاء الافراد الذين تروونهم في البلاد العثمانية هم أمة لها ان تطالب بحقوق الامم هذا ما قوله واختصر القول خوف الملال واختم قولي بالدعاء الى الله تعالى بان يؤيد الدولة العلية ويوفق سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان ورجال دولته الى ما فيه خيرها وحفظ مجدها آمين !!

الإهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنار
١٣١٥
يهدي المنار من يشاء ومن يشاء يضل عنه
ثم عادى الذين يشهون الغول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٣٢١ — ١٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ ﴾

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

﴿ المفتي والافتاء في الشرع ﴾

ختم الامام ابن القيم رحمه الله تعالى كتابه (أعلام الموقعين) بفوائد كثيرة مطولة تتعلق بالفتوى فرأينا ان نلخص منها ما يأتي تنويرا لبحثنا السابق وليعلم قليل الاطلاع أن مفتي الديار المصرية جرى في فتواه للترنسفالي على سنة السلف الصالح واقتدى فيها بأئمة الدين ، لا بأوضاع جهلة المقلدين ، الفائدة الاولى من تلك الفوائد في أنواع الاسئلة التي تعرض على المفتي ، والثانية في بيان انه يجوز للمفتي ان يعدل في جواب المستفتي عما سأل عنه الى ما هو أنفع منه واستدل على ذلك بالكتاب والسنة ، والثالثة في بيان ان يجوز للمفتي ان يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه واستدل على ذلك بالسنة (وفي صحيح البخاري باب معقود لهذا) والرابعة في بيان ان من فقه المفتي ونصحه أن يدل المستفتي على ما هو خير مما منعه منه بالفتوى فيما سأل عنه واستدل

إهداء شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه بالسنة . والخامسة في انه ينبغي للمفتي ان يحذر السائل مما يذهب اليه الوهم من خلاف الصواب في الفتوى واستدل عليه بأسلوب الكتاب والسنة . قال :

(الفائدة السادسة) ينبغي للمفتي ان يذكر دليل الحكم وما أخذه ما أمكنه ذلك ولا يلقيه الى المستفتي ساذجا مجردا عن دليله وما أخذه فهذا لضيق عطنه وقلة بضاعته من العلم . ومن تأمل فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أوردها المصنف في آخر الفوائد) الذي قوله حجة بنفسه رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ، وهذا كما سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال « أينقص الرطب اذا جف » قالوا نعم فزجر عنه ومن المعلوم انه كان يعلم نقصانه بالجفاف ولكن نبههم على علة التحريم وسببه . ومن هذا قوله لعمر وقد سأله عن قبلة امرأته وهو صائم فقال : « أرأيت لو تمضمضت ثم مججته أكان يضر شيئاً » قال لا . فنبه على ان مقدمة المحظور لايلزم أن تكون محظورة فان غاية القبلة انها مقدمة الجماع فلا يلزم من تحريمه تحريم مقدمته كما ان وضع الماء في الفم مقدمة شربه وليست المقدمة محرمة . ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » فذكر لهم الحكم ونبههم على علة التحريم . ومن ذلك قوله لأبي النعمان بن بشير ـ وقد خص بعض ولده بغلام نحله اياه ـ فقال : « أتحب ان يكونوا لك في البر سواء » ؟ قال نعم قال « فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفي لفظ « ان هذا لايصلح » وفي لفظ « اني لاأشهد على جور » وفي لفظ « أشهد على هذا غيري » تهديداً لاإذنا فانه لايأذن في الجور قطعا . وفي لفظ « رده » والمقصود انه نبه على علة الحكم : الخ الشواهد

(الفائدة التاسعة) ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل على أحسن بيان ، وقول الفقيه المعين ليس كذلك . وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص واشتقوا لأنفسهم ألفاظا غير الفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص ومعلوم ان تلك الألفاظ لاتفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتولد من هجر النصوص والاقبال على الالفاظ الحادثة وتعليق الاحكام بها على الامة من الفساد مالا يعلمه الا الله تعالى فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب. ولما كانت هي عصمة عمدة الصحابة وأسوهم التي اليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطأهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم. ثم ان التابعين بالنسبة الى من بعدهم كذلك وهلم جرا. ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الاهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض

« وقد كان أصحاب رسول الله (ص) اذا سئلوا عن مسألة يقولون: قال الله كذا قال رسول الله (ص) كذا أو فعل كذا: ولا يعدلون عن ذلك ماوجدوا اليه سبيلا قط. فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور. فلما طال العهد وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه: قال الله وقال رسول الله: أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن قول الله وقول رسول الله لا يفيد اليقين في مسائل أصول الدين وانما يحتج بكلام الله ورسوله فيها الحشوية والمجسمة والمشبهة. وأما فروعهم فقنعوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسوله (ص) ولا عن الامام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم بل عمدتهم فيما يفتون ويقضون به وينقلون به الحقوق ويبيحون به الفروج والدماء والاموال على قول ذلك المصنف، وأجلهم عند نفسه، وزعيمهم عند بني جنسه، من يستحضر لفظ الكتاب ويقول: هكذا قال وهكذا لفظه: والحلال ماأحله ذلك الكتاب والحرام ماحرمه والواجب ماأوجبه والباطل ماأبطله والصحيح ماصححه؛ — هذا وأنى لنا بهؤلاء في مثل هذه الازمان فقد دفعنا الى أمر تضج منه الحقوق الى الله ضجيجها، وتعج منه الفروج والاموال والدماء الى ربها عجيجها، يبدل فيه الاحكام، ويقلب الحلال بالحرام، ويجعل المعروف فيه أعلى مراتب المنكرات، والمنكر الذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات، الحق فيه غريب وأغرب منه من يعرفه، وأغرب منهما من يدعو اليه وينصح به نفسه والناس، قد فلق له فالق الاصباح صبحه عن غياهب الظلمات، وأبان له طريقه المستقيم من بين تلك

www.alukah.net إهداء ٨٩٤ شبكة الألوكة

الطرق الجائرات ؛ وأراه بعين قلبه ما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه مع ماعليه أكثر الخلق من البدع المضلات ؛ رفع له علم الهداية فشمر اليه ، ووضح له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه ؛ وطوبى له من وحيد على كثرة السكان ، غريب على كثرة الخيران ؛ بين أقوام رؤيتهم قذى العيون ، وشجى الحلوق ، وكرب النفوس ، وحمى الارواح ، وغم الصدور ، ومرض القلوب ، ان أنصفتهم لم تقبل طبيعتهم الانصاف ، وان طلبته منهم فاين الثريا من يد الملتمس ، قد انتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأماني وابتلوا بالحظوظ وحصلوا على الحرمان ؛ وخاضوا بحار العلم ولكن بالدعاوي الباطلة وتقاشق الهذيان ، ولا والله ماابتلت من وشله اقدامهم ، ولا زحكت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابيضت به لياليهم وأشرقت بنوره أيامهم ، ولاضحكت بالهدى والحق منه ربوة الدفاتر إذ بلت به أقلامهم ، أنفقوا في غير شيء نفائس الانفاس ، وأتعبوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الاصول ، فحرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مهامة الحيرة وبيداء الضلالة ، والمقصود ان العصمة مضمونة في الفاظ النصوص ومعانيها في أتم بيان وأحسن تفسير ، ومن رام ادراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه عسير غير يسير » اه

(المنار) ان ماذكره هذا الامام الجليل من وجوب اسناد الفتاوي الى نصوص الكتاب والسنة هو الذي جرى عليه جميع أئمة المسلمين ولكن الذين ذكرهم خرجوا عن هدي السنة وطريقة الأئمة فجعلوا اسناد الفتوى الى قول مؤلف من المقلدين الميتين ولم ينقل عن عالم من علماء الاسلام جواز تقليد المقلد ولم يكتفوا بهذا حتى صاروا يعيبون من يفتي بالكتاب والسنة ويزعمون انهم بهذا ينصرون الاسلام وما الاسلام الا الكتاب والسنة اللذين تركوهما وعادوهما . وماذكره من أوصاف العالم الذي يفتي بالنصوص ويراه الناس غريبا ينطبق في زمنه على شيخ الاسلام (رحمهما الله تعالى) وفي هذا الزمن على الاستاذ الامام (حفظه الله) فانه لما استند في الفتوى بحل ذبائح أهل الكتاب على اطلاقها باطلاق نص القرآن في حلها قام بعض الجاهلين يعيب ذلك زعما ان الافتاء بنص القرآن غير جائز للمفتي وانما يجب عليه ان يذكر نص مؤلف من المؤلفين الميتين الذين ينتسبون الى أبي حنيفة خاصة . وياليت هذا العيب والافكار كان ممن يدعون الاشتغال بكتب الاحكام التي يسمونها فقها ! كلا انه صادر من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أجهل أرباب الجرائد الاخبارية بالدين وأشدهم إيغالا في الفسق وإسرافا في الامر، فلو كان ابن القيم في هذا الزمان فماذا عساه يقول ويكتب في هؤلاء؟ ؟

(الفائدة الحادية عشرة) اذا نزلت بالحاكم أو المفتي النازلة فاما ان يكون عالما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسعه في طلبه ومعرفته أولا فان لم يكن عالما بالحق فيها ولا غلب على ظنه لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بما لا يعلم ومتى أقدم على ذلك فقد تعرض لعقوبة الله ودخل تحت قوله تعالى : « قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون * » فجعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الاربع التي لا تباح بحال . ولهذا حصر التحريم فيها بصيغة الحصر . ودخل تحت قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * انما يأمركم بالسوء والفحشاء، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون * » ودخل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أفتى بغير علم فانما اثمه على من افتاه » وكان أحد القضاة الثلاثة الذين ثلثاهم في النار . وان كان قد عرف الحق في المسألة علما أو ظنا غالبا لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بغيره بالاجماع المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وهو أحد القضاة الثلاثة والمفتين الثلاثة والشهود الثلاثة واذا كان من أفتى أو حكم أو شهد بغير علم مرتكبا لاعظم الكبائر فكيف من أفتى أو حكم أو شهد بما يعلم خلافه !!!

فالحاكم والمفتي والشاهد كل منهم مخبر عن حكم الله . فالحاكم مخبر منفذ ، والمفتي مخبر غير منفذ والشاهد مخبر عن الحكم الكوني القدري المطابق للحكم الديني الامري فمن أخبر منهم عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » ولا أظلم ممن كذب على الله وعلى دينه . وان أخبروا بما لم يعلموا فقد كذبوا على الله جهلا وان أصابوا في الباطن وأخبروا بما لم يأذن الله لهم في الاخبار به وهم أسوأ حالا من القاذف اذا رأى الفاحشة وحده فاخبر بها فانه كاذب عند الله وان أخبر بالواقع فان الله لم يأذن له في الاخبار بها الا اذا كان رابع اربعة فان كان كاذبا عند الله في خبر مطابق لخبره حيث لم يأذن له في الاخبار به فكيف من أخبر عن حكمه بما لم يعلم ان الله حكم به ولم يأذن له في الاخبار به قال الله تعالى : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب اليم *» وقال تعالى: «فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه» والكذب على الله يستلزم التكذيب بالحق والصدق. وقال تعالى: «ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا. أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» الا لعنة الله على الظالمين *» وهؤلاء الآيات وان كانت في حق المشركين والكفار فانها متناولة لمن كذب على الله في توحيده ودينه واسمائه وصفاته وأفعاله ولا تتناول المخطئ المأجور اذا بذل جهده، واستفرغ وسعه في اصابة حكم الله وشرعه فان هذا هو الذي فرضه الله عليه فلا يتناول المطيع لله وان أخطأ وبالله التوفيق.

(الفائدة الثانية عشرة) حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة: لسان الراوي ولسان المفتي ولسان الحاكم ولسان الشاهد فالراوي يظهر على لسانه لفظ حكم الله ورسوله والمفتي يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه. والحاكم يظهر على لسانه الالزام بحكم الله وتنفيذه. والشاهد يظهر على لسانه الاخبار بالسبب الذي يثبت حكم الشارع والواجب على هؤلاء الاربعة ان يخبروا بالصدق المستند الى العلم فيكونون عالمين بما يخبرون به صادقين في الاخبار به وآفة أحدهم الكذب والكتمان فمتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حاد الله تعالى في شرعه ودينه وقد أجرى الله سنته ان يمحق عليه بركة علمه ودينه ودنياه اذا فعل ذلك كما أجرى عادته سبحانه في المتبايعين اذا كتما وكذبا ان يمحق بركة بيعهما. ومن التزم الصدق والبيان في مرتبته بورك له في علمه ووقته ودينه ودنياه وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

فبالكتمان يعزل الحق عن سلطانه، وبالكذب يقلبه عن وجهه، والجزاء من جنس العمل فجزاء أحدهم أن يعزله الله عن سلطان المهابة والكرامة والمحبة والتعظيم الذي يلبسه أهل الصدق والبيان، ويلبسه ثوب الهوان والمقت والخزي بين عباده، فاذا كان يوم القيامة جازى الله سبحانه من يشاء من الكاذبين الكاتمين بطمس الوجوه وردها على أدبارها كما طمسوا وجه الحق وقلبوه عن وجهه جزاء وفاقا. «وما ربك بظلام للعبيد *».

(الفائدة الخامسة عشرة) ليحذر المفتي الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده وهو يعلم ان مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا فحمله الرياسة على ان يتقحم الفتوى بما يغلب على ظنه ان الصواب في خلافه فيكون خائنا لله ورسوله وللسائل وغاشا له والله لا يهدي كيد الخائنين وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله والدين النصيحة والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق ، والباطل للحق ، وكثيرا ما نرى المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا ان نفتي فيها بخلاف ما نعتقده فنحكي المذهب ثم نحكي المذهب الراجح ونرجحه ونقول هذا هو الصواب وهو أولى ان يؤخذ به وبالله التوفيق » اه

(المنار) ليعتبر بهذا الجهلاء الذي يزعمون ان المفتي يجب عليه ان يفتي كل سائل بالمذهب الذي عليه الحاكم الذي قلده منصب الافتاء وان خالف اعتقاده كأن المنصب يجيز للمسلم ان يترك اعتقاده فيحلل ما يعتقده حراما ويحرم ما يعتقده حلالا ، وفي هذا الزعم من الجناية على الدين ونصر أهواء الحكام عليه مالا يفوق إفساده إفساده ونحن نعلم ان أكثر السلاطين والامراء المتأخرين لا يعلمون من المذاهب التي ينتسبون اليها شيئا من الاحكام القضائية ولا من احكام الحلال والحرام الا المشهور الذي يعرفه العوام فاذا ولوا مفتيا ليفتي محاكمهم ورعاياهم فمن أي كتاب أو سنة أو اجماع أو قياس نوجب على هذا المفتي ان يترك علمه واعتقاده في كل مسألة تخالف مذهب السلطان ويفتي الناس بالمذهب الذي ينتسب اليه السلطان بالقول وهو في الحقيقة من العوام الذين مذهبهم مذهب مفتيهم ؟

نعم ان لإفتاء المفتي بمذهب السلطان في المسائل القضائية التي تنظر فيها المحاكم وجها اذا كان السلطان لا ينفذ الا ما يقضي به القاضي على مذهبه وذلك لان الافتاء والقضاء بخلاف ذلك يكون لغوا . أما اذا كان السلطان يطلب الحق في المسائل القضائية ومتى ظهر له بافتاء أو غيره وحكم به حاكم ينفذه فلا وجه لالتزام مذهبه مطلقا . واما المسائل الدينية التي لا تتعلق بالمحاكم ولا تحتاج الى تنفيذ السلطان كمسائل الحلال والحرام والعبادات فمن أكبر الجهل بالدين ان يقال انه يجب على المفتي ان يفتي فيها بمذهب السلطان ويترك اعتقاده الذي ينجيه عند الله تعالى لاجل منصبه الذي بني على الاجتهاد في كل مذهب ويريد المقلدون ان يقصروه على التقليد . ثم قال ابن القيم :

(الفائدة العشرون) لا يجوز للمقلد ان يفتي في دين الله بما هو مقلد فيه وليس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه ـ هذا اجماع من السلف كلهم وصرح به الامام أحمد والشافعي رضي الله عنهما وغيرهما . قال أبو عمرو بن الصلاح: قطع أبو عبدالله الحليمي امام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو المحاسن الروياني صاحب بحر المذاهب وغيرهما بأنه لايجوز للمقلد ان يفتي بما هو مقلد فيه. وقال: وذكر الشيخ أبو محمد الجويني في شرحه لرسالة الشافعي عن شيخه أبي بكر القفال المروزي انه لايجوز لمن حفظ كلام صاحب مذهب ونصوصه ان يفتي به وان كان متبحرا فيه جازان يفتي . قال أبو عمرو : ومن قال لايجوز له ان يفتي بذلك معناه لايذكره في صورة مايقوله من عند نفسه بل يضيفه الى غيره ويحكيه عن امامه الذي قلده فعلى هذا من عددناه في أصناف المفتين المقلدين ليسوا على الحقيقة من المفتين ولكنهم قاموا مقام المفتين وادعوا عنهم فعدوا منهم. وسبيلهم في ذلك ان يقولوا مثلا : مذهب الشافعي كذا وكذا ومقتضى مذهبه كذا وكذا وما أشبه ذلك . ومن ترك منهم إضافة ذلك الى امامه فان كان ذلك اكتفاء منه بالمعلوم عن الصريح فلا بأس:

قلت ماذكره أبو عمرو حسن الا ان صاحب هذه المرتبة يحرم عليه ان يقول مذهب الشافعي لما لايعلم انه نصه الذي أفتى به أو يكون شهرته بين أهل المذهب شهرة لايحتاج معها الى الوقوف على نصه كشهرة مذهبه في الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر ووجوب تبييت النية للفرض من الليل ونحو ذلك فاما مجرد مايجد في كتب من انتسب الى مذهبه من الفروع فلايسعه ان يضيفها الى نصه ومذهبه بمجرد وجودها في كتبهم فكم فيها من مسألة له لانص فيها البتة !!! ولامايدل عليه وكم فيها من مسألة نصه على خلافها وكم فيها من مسألة اختلف المنتسبون اليه في إضافتها الى مقتضى نصه ومذهبه فهذا يضيف الى مذهبه اثباتها ، وهذا ينفيها ...

فلا ندري كيف يسع المفتي عندالله أن يقول هذا مذهب الشافعي وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة . وأما قول الشيخ أبي عمرو ان هذا المفتي يقول: هذا مقتضى مذهب الشافعي: فلعمر الله لايقبل ذلك من كل من نصب نفسه للفتيا حتى يكون عالما بمأخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده جملا وفرقا ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لاصوله وقواعده بعد استفراغ وسعه في معرفة ذلك فيها حتى اذا أخبر ان هذا مقتضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مذهبه كان له حكم أمثاله ممن قال بما بلغ علمه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

وبالجملة : فالمفتي مخبر عن الحكم الشرعي وهو اما مخبر عما فهمه عن الله ورسوله واما مخبر عما فهمه من كتاب أو نصوص من قلده دينه وهذا لون وهذا لون فكما لا يسع الاول ان يخبر عن الله ورسوله الا بما علمه فكذا لا يسع الثاني ان يخبر عن امامه الذي قلده دينه الا بما يعلمه وبالله التوفيق

(الفائدة الثانية والعشرون) اذا عرف العامي حكم حادثة بدليلها فهل له ان يفتي به ويسوغ لغيره تقليده فيه ؟ ففيه ثلاثة أوجه للشافعية وغيرهم

أحدها الجواز لانه قد حصل له العلم بحكم تلك الحادثة عن دليلها كما حصل للعالم وان تميز العالم عنه بقوة يتمكن بها من تقرير الدليل ودفع المعارض له فهذا قدر زائد على معرفة الحق بدليله .

والثاني لا يجوز ذلك مطلقاً لعدم أهليته للاستدلال وعدم علمه بشروطه وما يعارضه ولعله يظن دليلا ما ليس بدليل .

والثالث ان كان الدليل كتاباً أو سنة جاز له الافتاء وان كان غيرهما لم يجز لان القرآن والسنة خطاب لجميع المكلفين فيجب على المكلف ان يعمل بما وصل اليه من كتاب ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز له ان يرشد غيره اليه ويدله عليه . اهـ

(المنار) علم مما قاله هذا الامام الجليل ان سلف الامة وأئمتها مجمعون على انه يجب على المفتي ان يفتي بعلمه في المسألة وانما اجاز بعض فقهاء القرون المتوسطة ان ينقل المفتي قول بعض الأئمة المجتهدين أو رأيه على أنه خبر ورواية وذلك لا يسمى فتيا وناقله لا يسمى مفتيا وانما أجازوه للضرورة . وكلام هذا الامام الحنبلي موافق لما نقلناه في الجزء الماضي عن أئمة الحنفية والشافعية ومثلهم في ذلك المالكية لان المسألة إجماعية

وعلم من قوله أيضا ما تقدم مثله من قبل وهو ان العالم اذا كان لا يقدر على الفتوى في جميع المسائل بالاجتهاد وكان واقفا على أدلة بعضها فما عرف دليله وجب عليه ان يفتي به دون غيره ، وقد تقدم في الاجزاء السابقة ان هذه المسألة مبنية على قول أهل الاصول بتجزؤ الاجتهاد . فاذا فرضنا ان مفتي الديار المصرية لم يستوف الشروط التي وضعوها للمجتهد المطلق فهل يعد على مثله وعلى من هو دونه بمراحل ان يعرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض المسائل بدليلها من الكتاب والسنة ؟ ماأظن ان احدا من معاصريه يباهت نفسه بانكار اهليته لذلك كيف وقد اجازوه العامي ! ، وعلى هذا يكون وافق ائمة الاصول والفقه في فتواه للترنسفالي بالدليل من غير صاحة الى بناء الفتوى على دعوى الاجتهاد المطلق، وهذا الكلام انما هو لبيان صحة اسلوب كتابة الفتوى اما صحة الحكم وحقيقة مافق به فهي مؤيدة بالاجماع في الواقعة كما تقدم شرحه

﴿ الآثار المكذوبة ﴾

اعتاد كثير ممن أراد الله بهم شرا على الاختلاق والتدليس وزيادة اشياء في الدين ماأنزل الله بها من سلطان ليجلبوا بها نفعا ويكسبوا بها حطاما فكذبوا وزوروا آثاراً ونسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم وغروا بذلك العامة وموهوا عليهم حتى اعتقدوا صدق تلك الآثار ورسخ في اذهانهم انها من الحقائق مع انها مزورة بلا ريب ويعرفها كذلك كل من له إلمام بالحديث الشريف ووقوف على السنة النبوية واطلاع على السيرة الشريفة والشمايل المنيفة وخبرة بالتاريخ وتبحر في المعارف وبعد عن الخرافات والاوهام، وكثيرا ماتستر الاوهام انوار الحقائق وتحجب شموس المعارف ثم لاتلبث ان تزول لذوي الاطلاع والنقد والاختبار فلا تغرهم تلك الزخارف ولاينخدعون باعمال العامة والجهلة ولا يقلدونهم في اعمالهم الفاسدة التي درجوا عليها واطمأنوا بها وركنوا اليها ركونا عظيما

لبس هؤلاء المزورون على المسلمين وادخلوا في الديانة الاسلامية ماليس منها وحسنوا لهم اعمال اهل الوثنية كالتمسح بالاحجار والاخشاب والاشجار وتقبيل الابواب والآثار المزورة كأثر القدم المزور للنبي صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا في الجامع الاحمدي وجامع قايتباي ومسجد سيدي عبد الرزاق بالاسكندرية وحجر المرفق ومسجد البقلة والآثار التي بالرباط الكائن بقرب بركة الحبش على شاطئ النيل . قال المؤرخ المقريزي : وكان شيخنا السراج البلقيني يطعن في هذه الآثار ويذكر ان له فيها مصنفا : فترى هناك العامة مزدحمين على التمسح بتلك الآثار والاحجار اي ازدحام معتقدين فيها اعتقاداً كبيراً ملتمسين منها البركات الموهومة

مستشهدين بالاحاديث الموضوعة على ان الاعتقاد بالاحجار ينفع مع أن ذلك من شأن اهل الوثنية فانهم يحسنون ظنهم بالاحجار وهؤلاء تشبهوا بهم وساروا على طريقهم ولم يكتفوا بتلك الاعمال حتى اعتقدوا انها قربة تقربهم الى الله تعالى زاعمين انها مفسدة كبرى ودين الاسلام بريء من هذه الافعال ومن نسبتها اليه ومنزه عن افعال الوثنيين وعقائدهم الباطلة التي لا يركن اليها من اطلع على السنة واشرب قلبه التوحيد وابتعد عن الشرك

وقد رأينا اتماما للفائدة ان نذكر ههنا نص الفتوى التي افتى بها حافظ الانام شيخ الاسلام الامام أبو العباس أحمد بن تيمية الحنبلي فيما نقله عنه تلميذه الحافظ ابن القيم وغيره وهي : « ان الجهال تخترع احجارا يزعمون ان فيها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم فيتمسحون بها ويقبلونها كما يقول الجهال في الصخرة التي في بيت المقدس من ان فيها أثرا من موطيء قدم النبي صلى الله عليه وسلم وفي دمشق مسجد يسمى مسجد القدم يقال ان ذلك أثر قدم موسى عليه السلام وهو باطل لا أصل له ولم يقدم موسى دمشق وما حولها ومثله أحجار بمصر وغيرها من البلدان افتراها الكذابون واستخفوا بها عقول العامة بل ما يروى من حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطيء على الصخر أثر فيه قدمه كل ذلك من الكذب المختلق لم ينقله أحد من أهل العلم بأحواله صلى الله عليه وسلم بل هو كذب عليه فلا يغتر بنقل كثيرين متساهلين في ذلك ساكتين عن حكم الحديث وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من انه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام ابراهيم الذي ذكره الله في قوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وذكر الازرقي عن قتادة : أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه : ولقد تكلفت هذه الامة شيئا ما تكلفت به الامم قبلها ذكرنا من رأى أثره وأصابعه (كذا) ثم ساء هذه الامة تمسحه حتى الخلوق وايضا فان المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كالمدينة المنورة دائما لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله فكيف بما لا تعلم صحته من آثاره عليه الصلاة والسلام وبما يعلم انه مكذوب كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون ويختلقون فيها موضع قدم ويزعم غيرهم من الجهال ان هذا موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان هذا غير مشروع في موضع قدميه وقدمي ابراهيم الخليل عليه السلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكيف يقال انه موضع قدميه كذبا وافتراء عليه كالموضع الذي بصخرة بيت المقدس وغيره من المقامات اه من كتاب تنزيه المصطفى المختار . عما لم يثبت من الآثار، للعلامة المحقق الشيخ أحمد بن العجمي الوفائي الشافعي

جاء الاسلام بقطع شأفة الوثنية ورفع اعلام التوحيد ومحو العقائد الباطلة الراسخة فى الاذهان ونفي كثير من الاباطيل التى كانت منتشرة ،وحض على التمسك بمكارم الاخلاق والابتعاد عن سفاسف الامور وبين للناس مايجب عليهم واظهر الحق من الباطل وحذر من الوقوع فى المآثم فعلى العاقل ان يتمسك باوامره ويبتعد عن تلك الآثار التى ابتدعها المزورون ليروجوا بها سلعتهم ويستفيدوا الفوائد الدنيوية الوقتية فجرءوا الناس على الاعمال الموجبة لغضب الله تعالى المنافية لدين الفطرة المفسدة للعقائد المزلزلة لركن التوحيد وسنعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

(محمد البشير ظافر الازهري)

باب السؤال والفتوى

(التلفيق فى التقليد)

(س١) مصطفى أفندي رشدي بنيابة الزقازيق :

توضأت وقبل الصلاة نزل من فمي دم خالط الريق وغلبه فانتقض الوضوء لاني على مذهب الامام الاعظم فأردت أن أصلي على مذهب الامام الشافعي لأن ذلك لاينقض الوضوء عنده فهل تجوز الصلاة ؟ وهل اذا اعتراني مثل ذلك وأنا داخل للمسجد للصلاة اوفيه والوقت ضيق لايسع الوضوء أوكنت أنا لاأستطيع الوضوء الا في منزلي لاسباب تحية فهل أصلي على مذهب الشافعي وان مسست امرأة ؟

ومثال ذلك في عبارة أخرى ان التيء ينقض الوضوء عند الامام الاعظم دون الامام الشافعي فاذا قاء الانسان وهو متهيء للصلاة فهل يصلي على مذهب الشافعي (ولومس امرأة) ام فى حال لمس المرأة لاتجوز الصلاة ؟

ومثال ذلك ايضا ان صلاة الظهر تصير قضاء عندنا اذا دخل وقت العصر ولكن عند الامام مالك تعد صلاتها اداء الى ماقبل الغروب فاذا كنت مشتغلا وتوضأت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على مذهبي فهل يجوز لي الصلاة بعد العصر واعتبرها اداء على مذهب الامام مالك؟

(ج) يعني السائل بالامام الاعظم ابا حنيفة فان مذهب الحنفية مؤلف في الحقيقة من عدة مذاهب أشهرها مذهب أبي حنيفة ومذهب أبي يوسف ومذهب محمد ابن الحسن ولكن هذين الامامين قد تلقيا عن الامام ابي حنيفة وسارا في الاجتهاد على طريقه في الاستنباط ولم تعرف اقواله وآراؤه الا عنهما وفي كتبهما لذلك جعل مايؤثر عنهما من النقل عنه وما خالفاه فيه مذهبا واحداً لثلاثة أئمة يقال لكبيرهم ومرشدهم الامام الاعظم . وقد جرى المؤلفون في هذا المذهب والمفتون فيه من المجتهدين فيه على ترجيح اقوال بعض الثلاثة على بعض فكان كل عامل بما في كتبهم مقلداً لعدة اشخاص في حقيقة واحدة وهذا هو التلفيق الذي منعه الجمهور وأجازه بعض المحققين . وعلى القول بالجواز تكون صلاة السائل صحيحة في المسائل التي ذكرها وقد تقدم البحث في جواز التلفيق والاستدلال عليه في مقالات المصلح والمقلد فليراجعه السائل في مجلد المنار الرابع (ص ٣٦١) وما بعدها وفي مباحث جمعية أم القرى من المجلد الخامس (ص ٦٧٦) وملخصه ان المسألة خلافية وان أكثر علماء التقليد منعوا التلفيق مع انه لازم للتقليد وان دليل الذين أجازوه أقوى. وهذا الخلاف مفروض في المقلد الذي له معرفة بمذهب أمامه ونظر في أدلته وأما من ليس كذلك فهو عامي لامذهب له وإنما مذهبه مذهب مفتيه فاذا أفتاه شافعي بشيء وحنفي بشيء فلا يجب عليه ان يتوقف عن الاخذ بقول مفتيه في المسألة الى ان يعرف مذهبه في جميع المسائل التي تتعلق بموضوع الفتوى كالصلاة مثلا

هذا وانه لادليل في الكتاب ولا في السنة على نقض الوضوء بالقيء أو بخروج الدم فالخلاف فيهما بالرأي والاجتهاد . وأما وقت الاداء والقضاء فالحكم فيه ان كل امام ينهاك عن تأخير الصلاة الى الوقت المختلف فيه عمداً واذا أخرت بعذر فأحسن التوبة وأقم الصلاة على وجهها في أول فرصة وليس عليك بعد اداء أم قضاء والله أعلم

﴿ تعريف الزنا وتحريم الاستمتاع بما دونه ﴾

(س٢) اسماعيل أفندي . ل . بمصر : توجهت لزيارة صديق لي فوجدت عنده مجلسا حافلا بالاخوان والكل مشتغلون بالبحث في أحكام الدين — وهذا الشعور لم يوجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الابهة حضرتكم أثابكم الله وجزاكم احسن الجزاء ، وكان من موضوع بحثهم تعريف الزنا فقال فريق : هو كذا ... ـ وذكر معنى الفاحشة الكبرى ـ وما كان غير ذلك لا يعتبر زنا ولا تترتب عليه أحكام وحينئذ يمكن للرجل ان يأتي المرأة في جزء من جسمها ولا عقاب عليه : والفريق الآخر قال : ان الانزال باحدى هاته الطرق يعتبر زنا : واخيرا اتفقوا على سؤال المنار والسير على ما يقرره طبقا للشريعة الاسلامية الغراء.

(ج) ان أرادوا بالزنا ما يحد الحاكم صاحبه الحد المعروف في الفقه فهو ما عرفه به الفريق الاول وان أرادوا ما حرمه أحكم الحاكمين على عباده وجعله من أسباب مقته وسخطه فهو أعم مما قال الفريق الثاني فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » وفي رواية لمسلم « والفم يزني وزناه القبل » : وظاهر ان المراد بالنظر هو النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة والمراد بالبطش لمسها وفي معنى اليد غيرها فكل ملامسة محرمة . فاستمتاع الرجل بغير امرأته أو جاريته المملوكة له ملكا صحيحا شرعيا محرم كيفما كان سواء أنزل أم لم ينزل

ومقتضى الحديث الصحيح الذي تقدم ان هذا الاستمتاع يسمى زنا وان للزنا مراتب أدناها النظر بشهوة عمداً وأقصاها الفاحشة الكبرى المعروفة ، وانما وضع الحد على من انتهى الى الدرجة القصوى لان المضرات البدنية والمدنية والادبية التي يعاقب الحكام مرتكبها لا تظهر الا في هذه الدرجة فالنظر مما يكثر وقوعه ولا يعرف كونه بشهوة الا من الناظر فترتيب الحد عليه حرج عظيم لانه من اللمم الذي ترجى مغفرته باجتناب ما وراءه « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم » وأما اللمس والتقبيل فضرراته في الاصرار ومنها تجرئة مرتكبه على المحارم اذا لم يبادر الى التوبة منه وهي مضرة روحية لا أثر لها في الامة ـ او في الهيئة الاجتماعية كما يقولون ـ الا اذا تعدى الرجل على المرأة او فعل ذلك بحضور الناس ولذلك درجات تختلف باختلاف الاشخاص والمكان والزمان ليس من العدل ان توضع لها عقوبة معينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تختلف كما هو معنى الحد وانما عقوبتها التعزير الذي يفوض الى رأي الحاكم .

فعلم من ذلك ان عدم وضع الحد على مثل هذه الامور ليس دليلا على اباحتها ولا على كونها هينة عند الله تعالى

ويتوهم بعض الناس ان ما اشرنا اليه من انواع الاستمتاع بالنساء دون الوقاع لم يحرم الا لانه مقدمة للوقاع الذي تترتب عليه المفاسد الكثيرة وان من وثق بنفسه وقدر على منعها من الوقاع حل له ان يستمتع بالمرأة الاجنبية كما يشاء اذ لا مفسدة في هذا (بزعمهم) ومن كان من هؤلاء مجاورا في الازهر بعض سنين، أو متلقيا شيئا من كتب الدين ، يستدل على ذلك بنص « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » ويقول بعض الفقهاء لا كبيرة بعد دون الفاحشة الكبرى وهي الوقاع . وقد كان سألني مشافهة احد تلامذة المدارس العالية في مصر عن ذلك وقال ان التلامذة وغيرهم من الشبان في مصر يباشرون البنات العذارى ويستمتعون منهن بما عدا الفاحشة المبينة فهل يحل ذلك ام يحرم ؟ فأجبته بأني اتعجب اشد التعجب من كون هذا مما يخفى تحريمه على مسلم ويرى انه مما يستفتى فيه

نعم انه لم يحرم شئ في الشريعة الاسلامية الا لأنه ضار بفاعله او بالناس مباشرة او مفض الى الضرر وان اباحة استمتاع الرجال بالنساء فيما دون الوقاع ضار بالمستمتعين والمستمتعات وبغيرهم . وبيان هذا بالتفصيل لا يذكر في جواب سؤال ولكننا نذكر ما يخطر لنا من ذلك الآن بالايجاز فنقول ان لذلك مضرات كثيرة

(احدها) ان هذا الاستمتاع يغري صاحبه بالشهوة ، ويولعه باللذة ، حتى لا يكون له هم سواها ، فان من طبيعة نفس الانسان انها اذا أخذت بمبادي الامر المستلذ بالطبع تتدرج فيه حتى تصل الى غايته ، وتكون قبل الوصول الى الغاية في بلبالوهم ، واشتغال فكر وقلب ، وهذا ضرر في نفسه وهو اصل لمضرات اخرى تنشأ عنه كما يعلم مما يأتي

(ثانيها) انه يورث النفس الصغار والضعة لان الولوع بملاعبة النساء شر من الولوع بملاعبة الاطفال او الحمام فان هذه على كونها اشتغالا بالمحقرات والسفاسف التي تنافي كبر العقل وعزة النفس ليس فيها من الخنوثة ومهانة النفس ما في الولوع بملاعبة النساء

(ثالثها) انه يملك الهوى وحب اللذة زمام الارادة وقلما تجد عند صاحبه عزيمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثابتة الا ماعساه يكون في طلب لذته ، ومن يستحل الزنا فيرتكبه عند شدة الداعية اليه في المواخير العامة لايكون عرضة لهذه الغائلة وما قبلها كالمسترسل في ملاعبة النساء والاستمتاع بهن في غير المسيس ، وان كان للزنا مضرات أخرى شر منهما

(رابعها) انه لابد ان ينتهي أمر هذا الاستمتاع بالفاحشة الكبرى لما فيه من من الالحاح بالاغراء ، والتجرئة على العصيان ، فان كان الفاسق يستمتع بعذراء يحافظ على شرفها ، ويخشى عاقبة فضيحتها ، وقوي لذلك على ضبط نفسه معها . فانه لابد ان يجمح به سلطان الهوى المطاع الى غيرها .

(خامسها) ان وازع الدين والحياء من الله تعالى يضعف ويضمحل في نفس هذا المستمتع وفي ذلك من الضرر الروحاني مالا محل لشرحه هنا ومن قرأ ما كتبناه في معنى تكفير الحج للذنوب في الجزء الماضي فانه يستغني به عن طول الشرح

(سادسها) ان هذا العاصي لسلطان الدين ، الخاضع لسلطان الشهوة ، لايكتفي غالبا بالاستمتاع بامرأة واحدة لاسيما اذا كانت الخلوة بها لاتيسر له دائما فهو اذا جاء الوقت تهم به داعية الشهوة بدافع من التأثر والتأثير العصبي فيلتمس غير من عرفها أولا حتى يضيع كثيرا من وقته ويحرم بذلك من اتقان عمله في معيشته

(سابعها) ان هذا العاصي يفسد باسلاس قياده للذة كثيرا من النساء وهذا شر في نفسه وربما يتولد منه شرور أخرى كالتنازع بين الفاسقين او بين الفاسق وأقارب المرأة

(ثامنها) ان في هذا التنقل في الفسق من اتلاف المال مايقل عنه كل إتلاف

(تاسعها) ان من اعتاد على التنقل في مراتع الفسق كثيرا مايرغب عن الزواج ويكتفي بالمساحقة او اتخاذ الاخدان وفي ذلك من المفاسد مافيه وشرحه شرح لمضار الزنا وانما كلامنا في الاستمتاع بما دونه الى ان يؤدي اليه

(عاشرها) ان من اعتاد ذلك يحرم في الغالب من السعادة البيتية التي ملاكها قناعة كل من الزوجين بالآخر ، ومن تنقل في مراتع الفسق لايكاد يرضى بمن يتزوج بها لاسيما اذا اعتاد الاستمتاع بمن هي أجمل منها شكلا ، أو ألطف في ذوقه دلا ، وكذلك المرأة ، وناهيك بما في فقد هذه القناعة من ضروب الشقاء ، والجناية على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النسل ، فانه مخرب للبيوت التي تتألف منها الامة

وجملة القول ، ان الاستمتاع المسئول عنه ضار في ذاته ومؤد الى الفاحشة حتما ولكنه شر طريق اليها لان من وقع في الفاحشة ابتداء يوشك ان يدرك قبحها ويتوب منها قبل الاسترسال فيها ولكن من يقدم لها تلك المقدمة المهيجة فانه ينغمس فيها حتى يغرق ويكون من الهالكين ، أما مضرات الزنا في البدن والنفس والمال والامة أو الاجتماع فسنشرحها في وقت آخر ، فعلى المؤمن بالله واليوم الآخر ان لايخدع لهواه ويتجرأ على الاستمتاع بغير حليلته الشرعية غشا لنفسه بأن هذا مقدمة للزنا ليس فيه كبير ضرر فان هذا من وسواس الشياطين ،

﴿ اسئلة رفعت الى مفتي الديار المصرية ﴾

كتب احمد بن الحاج مصطفى التركي الجزائري كتاباً للاستاذ الامام يقترح عليه ان يؤلف كتابا مختصرا فيما تجب معرفته من العبادات على الجاهل ويسأله هل يجوز الاخذ بقول أي مذهب من المذاهب الاربعة أم لا وعن أخذ الاوراد من مشايخ الطرق وعن التوسل بالاولياء مثل : اللهم يارب بحق فلان : الخ وعن التبرك بكتابة الفاتحة في صحن وشربها للعافية من المرض أو من العين والسحر ، وعن اتخاذ حرز من الادعية النبوية التي في صحيح البخاري — « لاغيرها مثل الزناتي وأبي معشر (قال) فهذا الحقير يعترف بأنه باطل » — ثم قال « لان الحقير يميل بالطبع الى الاقتداء بمذهب السلف الصالح * ولما كانت حضرتكم امامنا في هذا الزمان الذي كثر فيه الخلط والتخبط خصوصا في بلادنا ولم نجد من يرشدنا انزوى الفقير لبابكم فلا تردوه خائبا والله يحفظكم ويرعاكم ، واذا ظهر لكم نشر ماذكرت لكم في المنار الاغر فذاك ماكنا نبغي والسلام »

وقد أعطانا الاستاذ هذه الاسئلة لنجيب عنها بما يأتي : أما الاول فالعامي لامذهب له وانما مذهبه مذهب مفتيه فعليه ان يسأل أي عالم عن حكم الله في المسائل التي تعرض له وان يأخذ بما يرشده اليه وليس عليه ان يسأله عن مذاهب العلماء وآرائهم . وأما مشايخ الطرق فهم العالم بالشرع والجاهل به فاذا أرشد العالم تلميذه وهديه الى التوبة والذكر والفكر والادعية المأثورة في الكتاب والسنة الصحيحة

قلبه أن يتخذه مرشدا ومربيا وان يهتدي بهديه السالم من البدع ولا يجوز لاحد ان يأخذ شيئا عن مشايخ الطرق الجاهلين بعلم الدين ـ وأهمه علم الاخلاق وآفات النفس ـ لانهم مضلون لا مرشدون، وأما كتابة الآيات والادعية في الاواني والاوراق لاجل دفع الامراض والآفات فهو استعمال لها في غير أنزلت لاجله من هداية الناس وتوجيه قلوبهم الى الله تعالى وحده حتى لا يعول على غيره في دفع الضر وجلب النفع بعد اتخاذ الاسباب المعروفة للناس . وما ورد من نحو اجازة بعض الرقى ـ وهي من هذا القبيل ـ فلا بد ان يكون له سبب خاص في واقعة حال خاصة ولذلك ورد في حديث البخاري وغيره ان من علامات المؤمن الصادق الذي يدخل الجنة بغير حساب أن لا يرقي ولا يسترقي بل يتوكل على الله تعالى في دفع ما لا يعرف سببا عاديا لدفعه وهذا ما جرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

وإنما التوسل الصحيح هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من العلم والعمل الصالح ، والتوسل بالصالحين من سلف الامة باتباع طريقتهم في الورع والتقوى وتحري العمل بالكتاب والسنة مطلوب : وانا نختم هذه الاجوبة بما جاء في آخر الصفحة ١١٣ وعامة الصفحة ١١٤ من كتاب إغاثة اللهفان للامام ابن القيم ، فقد ذكر بعد بيان الفتنة بالدعاء عند القبور وتوهم تأثيرها في الاجابة ما نصه بعد العنوان :

﴿ الإقسام على الله تعالى ببعض عباده ﴾

« والمقصود ان الشيطان يلطف كيده بحسن الدعاء عند القبر وانه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الاسحار فاذا تقرر ذلك عنده نقله الى درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك. فقال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به ، قال واكره ان يقول أسألك بمقعد العز من عرشك واكره ان يقول : بحق فلان وبحق انبيائك ورسولك وبحق البيت الحرام : قال أبو الحسن : أما المسألة في غير الله فمنكرة في قولهم لانه لا حق لغير الله عليه وانما الحق لله على خلقه . وأما قوله : بمقعد العز من عرشك:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف قال : وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بذلك . قال : ولان معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته فكانه سأل الله بأوصافه. وقال ابن بلدجي في شرح المختار : ويكره ان يدعو الله تعالى الا به فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على خالقه . أو يقول في دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك ؛ وعن أبي يوسف جوازه وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا، هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام : انه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم ونوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاعتقاده ان ذلك جاء في حديث وانه لم يعرف صحة الحديث .

فاذا قرر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به ابلغ في تعظيمه واحترامه وانجح في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله ثم نقله بعد ذلك درجة أخرى الى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، يوقد عليه القنديل ، ويعلق عليه الستور ، ويبنى عليه المسجد ، ويسجد بالسجود له ، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج اليه ، والنذر عنده ، ثم ينقله درجة اخرى الى دعاء الناس الى عبادته ، واتخاذه عيدا ووثنا ، وان ذلك انفع لهم في دنياهم وآخرتهم . قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب ابعدها عن الشرك ان يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس ، قال : وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت او الغائب كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين واهل الكتاب يدعو احدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله . المرتبة الثانية ان يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين ؛ الثالثة ان يسأله نفسه . الرابعة ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب أو انه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان ترياق مجرب ، والحكاية المنقولة عن الشافعي انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر » اه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم العمومي

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ (تابع ويتبع)

(بقية الكلام في رابطة الدين)

ان الذين ما أرادوا الا الاصلاح ما استطاعوا يتألف هداهم الذي يدعون اليه في كل جيل وكل قبيل من ركنين مشيدين ، على اساسين متينين . الاول توجيه النفوس الانسانية الى عالم الغيب لانّ هنالك كمالها المعد لها بحسبها . وأساس هذا الركن ان النفس الانسانية — هذه التحفة البديعة التي لم تزل من الاسرار الفامضة — لم تخلق عبثا ، والثاني ترقيق عواطف الناس بعضهم على بعض ليختف بتوانخي الكثيرين بعض من التعادي القديم العمومي الوحشي . وأساس هذا الركن ان كمال كل نفس — في عالمي الشهادة والغيب بغيرها سواء فضلت افادتها للغير أو فضلت استفادتها أو استوتا .

ثم ان كل ركن من هذين الركنين مبني من أجزاء كثيرة . وهذه الاجزاء تكون بحسب الادوار والاجيال . فلهذه العلة تختلف صور الاديان وجوهرها واحد.

هذه الاجزاء نسميها وسائل . ولاختلافها بحسب الحال فيما يدعو اليه المتعددون تعددت الاديان باعتبار تعدد الدعاة وباعتبار تخالف الوسائل .

فأما الراسخون في هذا العلم فما زالوا ولا يزالون يعظمون أمر ذلك الجوهر الذي يهدي سبل السلام ويخرج من الظلمات الى النور

وأما البعيدون عن العلم فلا يستغنون عن قائد يقودهم في مناهج تلك الوسائل فالبشرى لهم ان كان قائدهم مصلحاً مخلص القلب والويل لهم ان كان قائدهم مفسداً . وبالجملة فشان هؤلاء ان يظنوا أن الوسائل روح الدين ، والتذابح في سبيلها نهاية عمل الطيبين الطاهرين ، وغاية الزلف عند رب العالمين .

ولتأييد ما ذكرناه آنفا من وحدة الجوهر لزم ان نورد شهادات من كتب الاديان . ويجدر ان نقدم بين يدي ذلك قولنا: « ان هذا الذي علمناه بعد قراءة اسفار الامم ، وصحف أجيال الشعوب ، قد أوحي لنبي أمي لم يقرأ سفراً ، ولم يخط سطراً » فما أعظم تلك المنحة (عليه الصلاة والسلام) .

فما أوحي اليه : « قل يا أهل الكتاب (علم على اليهود والنصارى) تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم (هي) أن لا نعبد (أي ان لا نرجو ولا نخاف شيئا من الاشياء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رجاء يقارنه حب واحترام ، وشوق وهيام ، وخوفاً يقارنه هيبة واعظام ، وخشوع واهتمام) الا الله (الصانع المدبر من به قوام الكوائن واليه يعود نظامها) ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً (أي يقام الارباب من السلطة المطلقة) من دون الله (بل لله وحده السلطة المطلقة والكمال المطلق والقدس المطلق) أفلم تروا ان قوله « سواء بيننا وبينكم » يفيد ما نحن بصدده من وحدة جوهر الدين .

ومما أوحي اليه : — « ان الذين آمنوا (علم على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم في زمانه) والذين هادوا (علم على اتباع موسى) والنصارى (علم على اتباع عيسى) والصابئين (علم على طائفة كانوا ببابل) من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً (مايصلح لسعادة النفس) فلهم أجرهم عند ربهم (كل على حسبه) ولا خوف عليهم (من اختلاف النسبة) ولاهم يحزنون (على فوات أجر العمل) »

أولم تروا ان ذكر الذين هادوا والنصارى والصابئين مع الذين آمنوا بمحمد ثم الوعد بالجزاء الذي ينفي الخوف والحزن لدى الايمان بالغيب والعمل الصالح يفيد ان هذا هو الدين المطلوب من كل لا الانتماء للاسماء .

ومما أوحي اليه : — « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب (أي التوراة والانجيل) ومهيمنا عليه (أي شاهداً) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم (اي ظنونهم بأن وسائلهم لاتنسخ) عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (اي في الوسائل) ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة . (أي متفقة المناهج في السلوك لبلوغ الركنين المقصودين في الدين) ولكن ليبلوكم (اي ليظهر استعداد كل منكم بحسب زمانه ومكانه) فيما آتاكم (من آلات العلم والعمل) فاستبقوا الخيرات (أي استعملوا الآلات فيما خلقت من أجله لتكون لكم العلوم النافعة والاعمال الرافعة وهي الخيرات بمذاقيرها . وهذا الخطاب حنان وتفضل على الفطرة ومنح لها السعة في القابلية) الى الله مرجعكم جميعاً (أي الى الموقف الغيبي الذي تنال فيه نفوسكم ماأعدت لها بحسب ما قدمت في الموقف الحسي) فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . (اي ينكشف لكم هنالك ماحجبه الحس عنكم هنا) . »

وشواهد هذا المعنى من القرآن المجيد كثيرة . وللاختصار نكتفي بما تقدمناه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونكتفي أيضاً بشاهد واحد مما في كتب العهدين (القديم والجديد) فاليكموه جامعاً هذا المعنى المجمع عليه في العهدين: سئل المسيح : « يامعلم اي وصية هي العظمى في الناموس . فقال له يسوع تحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الاولى والعظمى . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء » (متى ص٢٢) أو لم تروا كمال المطابقة بين ماعبرنا عنه هنالك في وصف الركنين وبين ماعبر به هنا عنهما .

وانا قد كتبنا هذه الادلة للمتدينين الذين قد يعيرون البال لامثال هذا المعنى أما غيرهم فسوف يقولون سواء علينا أصحت هذه الدعوى ام لم تصح فانا قوم ننظر للواقع فنأخذ منه نفس الامر . ونحن نقابلهم فنقول سواء علينا أذعنتم ام لم تذعنوا فأنا قوم ننظر للجوهر ، ولا نعبأ بالصور ،

وهانحن اولاء نبين لكم كيف تغايرت الوسائل حتى تغايرت صور هذه الاديان:

إن فروع كل قانون من قوانين العالم في الاخلاق وفي نظام الاجتماع تكون بحسب الحيل والقبيل وقد يحدث في فهم المخاطبين بها تفاوت فيكون البون بين قانون وقانون وهذا أمثله ذلك

(١) في بعض الاحيال سن عمل شيء لتأليف القلوب . وفي أحيال أخرى كان ذلك العمل من مفرقاتها .

(٢) في بعض الاحيال شرع عمل لضرورة وفي أخرى لم تكن الضرورة تلك .

(٣) خوطب قوم برموز فأخذها آخرون على ظاهرها وخوطب قوم بصريح فقالوا هذه رموز !!!

(٤) رغب قوم بسعادة الحس وأرهبوا من شقائه وآخرون رغبوا بسعادة الغيب وأرهبوا من شقائه وشوق آخرون للامرين فهام الأولون بوسائل الملك والغلبة على الامم . وهام التالون برفض النعيم في هذا العالم وعدم المبالاة بجحيمه . واعتدل الآخرون فطلبوا نصيباً من ههنا وهناك . واشتغلوا بكلتا الوسيلتين فكيف تتساوى الفروع ههنا ؟

فأنتم ترون من هذه الامثلة وما ستقيسون عليها أن الوسائل ضروري فيها التغير وما كان تحت التغير فهل يكون الروح واللب ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكثيراً ماتتفق بعض الاجزاء بالمعنى ويفترق دوالها مابين صريح أورمز كالتعبير عن كون الخالق خلق الخلق اضداداً بأن العالم نشأ من الظلمة والنور أوان الظلمة نشأت من النور . وكالتعبير عن كون الفاطر فطر الانسان فطرة بديعة وآتاه فضلا من العناية (كأن سخر له الارواح السماريات بطوناً، والاجسام الجاريات ظهوراً، والعادلات عدناً) بأنه سوّاه بيده، ونفخ فيه من روحه، وخلقه على صورته، واستخلفه في أرضه، وعلى هذين المثالين قيسوا ما اختلافه بين صريح وكناية، وعبارة واشارة، ولو شئنا سردنا ههنا من الامثلة مئات، تنتفع بها الفئات، فليستمع من قرعت سمعهم هذه الاشارات، ينابيع ذكائهم الفائضات .

والغرض من كل ذلك ان الذين يلهمون الحكمة الصافية لايعدمون مايبثون به للناس دينهم الذي احبوه من فم شخص، وكرهوه من فم آخر، وهو واحد

ذلك الدين الواحد هو ماأمر به المرسلون من اسلام النفوس الى بارئها وتصحيح الارادة وتوجيهها نحو الكمال الذي اعتد للفطرة ان تناله «فطرة الله التي فطر الناس عليها» . «ان الدين عند الله الاسلام» «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو مؤمن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً» . ولم تك ملة ابراهيم الا ملة الفطرة، فقد سمعتم أنه عاف تلك الاوضاع التي كانت في قومه «الصابئين» وهاجر من ديارهم ولم يك في ملته تلك الوسائل والاجزاء التي اقتضاها من بعد ذلك زمان موسى ثم لم يقتضها زمان عيسى ولا زمان محمد (عليهم السلام)

فيالله كم من فضل ومنة علينا لهادينا الرؤف الرحيم، ومرشدنا الرسول الكريم، الذي أنقذنا من الضلة، اذ دعانا الى هذه الملة . ملة الانبياء كلهم كما أوحي اليه: «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه» وفي آية أخرى «قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»

أما البعيدون عن العلم فهم عن هذا معرضون، يضنون المشاحة في الكلم والاسماء، والكر على الوسائل والاجزاء، لب الغرض وروح الدين، وغاية المطلوب من الطيبين الطاهرين، ونهاية الزلف عند رب العالمين، ولو كان كذلك لما غير الانبياء شيئا من وسائل من قبلهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اذقد أمروا ان لايتفرقوا في الدين، فهل هم يخالفون الوحي؟ كلا أم اوحي لكل منهم دين على حدة ؟ كلا وانما أوحي لكل منهم شرعة ومنهاج، ووضع لكل منهم في ترقية الناس معراج ، وبين الدين والشرعة فرق لغوي واصطلاحي . فاسألوا أهل العلم ان لم تعلموا وقد حررنا لكم آنفاً مايفيدكم هذا ان كنتم تذكرون

وإنا لسائلوهم هل لب الدين تلك المسائل التاريخية التي وقعت كما وقعت ثم اختلف التعبير عن كيفية وقوعها . هل غاية مايتوقف عليه رضا الباري وغضبه القول بأن زيداً أهانه عمرو أوانه لم يهنه عمرو وانما أهانته يد سرية ورأى الناس يد عمرو فحكموا انه هو الذي أهانه ولكنهم في الحقيقة واليقين لم يصيبوا في حكمهم لان الذي أهانه يد سرية لايد عمرو هل هذا كل الدين؟

وسائلوهم هل منتهى الدين أمور تتعلق بالعادات البشرية من قيام وقعود، وسهر وهجوع ، وشبع وجوع ، وذهاب ورجوع ، واقامة ورحيل ، واعلاء وتنزيل ، وأمور أخرى تتعلق بالابدان، من لحم وشعر وظفر واسنان، أوهذا هو الدين أوهذا كل الدين؟

وسائلوهم هل مبلغ زلف المتدينين ان يفني بعضهم بعضاً ان استطاعوا أو يقبل المغلوب ما قبل الغالب . اذن أين حرية التفكر . اذن أين الفضيلة للمكره فيما يأتيه بظاهره وينكره بباطنه ؟

هنالك أسئلة كثيرة يسئلها من ظنوا تلك الظنون ، وتربص بعضهم ببعض ريب المنون

أما نحن فسيسألنا سائل من أهل الملل قائلا : هل أنت تنكر الوسائل مطلقا. وهل الوصول الى ذينك الركنين يكون بدون الوسائل، وهل انت غير معتبر لوسائل دين من الاديان وبهذا الاعتبار ألا ترد غيرها ؟ وحينئذ فما ثمرة تطويلك هذا الذي لاينفيك مثل غيرك عن تفنيد الذاهبين الى وسائل شرعة اخرى ؟

فنقول لهؤلاء انه من المؤكد اننا نقبل الوسائل التي في دين محمد (عليه السلام) لانها قسمان (١) قواعد عامة شرعية يمكن البناء عليها في كل زمان ومكان و (٢) قواعد عامة أدبية معينة ومساعدة للقواعد الشرعية . ومن شاء ان يسألنا عن قاعدة منها لايقبلها العقل فليفعل .. ولكن قبولنا ذلك هل يغنينا عن تذكر القاعدة العظمى التي يبني عليها الاخاء الكبير ، أم يأمرنا به وبالتذكير ؟

إهداء من موقع الألوكة www.alukah.net

اني لما رأيت الناس (منهم) من نسوا الجوهر الذى منه واليه كل الاديان، ومنه واليه صلاح الانسان، وظنوا ان الخير كله والدين في مخالفة غيرهم فى كل شيء (*) و(منهم) من اختلفوا فى فهم وسائلهم فانقسموا على أنفسهم . ومنهم من أقاموا ناساً منهم مقام المرشدين الذين يعتقدون عصمتهم فعبثوا بالمقاصد والوسائل عمداً أوخطأ . و (منهم) من ليس له من الاديان الا النسبة التى أصبحت بمقام النسبة للقوم لما رأيت هذه الاحوال الضارة التى ليست من الاديان فى شيء نويت بتطويلي هذا تذكيرا لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد بالجوهر وتفنيداً لمن اقاموا أقل الوسائل اعتبارا مقام المقاصد العظمى على حين ان الشعوب تشابهت فى الحاجات المادية والادبية وتشابهت فى عدم العلم والعمل بأديانهم المقاصد والوسائل. فمن تذكر هذا التذكير يرجى به ان يتخذ نبراساً يخرجه من الظلام ، ويهديه سبل السلام، وان قبل هذه الذكرى عاقل

من أ ثم ١ من ب ثم ١ من ج ثم ١ من د فهذه هي الثمرة المطلوبة لان $\frac{1}{2}$

وسيقول بعد هذا من يدعون حب الحكمة من الذين لم يربطوا بعروة من عرى الاديان كلها: إن هذا الذى حررته الاشعر أوحاه حب المألوف وان جنى الناس من الديانات إلا التذابح، فيالله العجب هل حدث التذابح يوم حدثت الديانات أم هي سنة البشر من قبل؟ ألم يكن من ثمرات الاديان تخفيف ذلك التذابح القديم ؟ ألم تحشر الشعوب الكثيرة المتغايرة في الالسنة والالوان . المتباعدة فى العادات والبلدان ، تحت رايات قليلة هن رايات الاديان ؟

(*) قيل لهندي عامي هل تصلي قال: آكل البقر الحمد لله: ورأيت قوما يرمون شخصاً بالكفر فسألتهم عن دليل كفره فقالوا إنه لبس قبعة فى أوربا . وأخبرني شيخ معمر ثقة ـ لا يزال حيا ـ عن نفسه أنه كان هو أول من لبس القوندرة (الجزمة) في هذا البلد فرآه أحد الاعيان فاستحضر أخاه وقال له ان أخاك لم يبق عليه الا ان يعلق صليبا في عنقه. قال فما باله؟ قال اني رأيته يلبس قوندرة أليس هي من زي الفرنجة ؟ فعاد على أخيه باكيا ناحبا قال فما بالك قال انك لبستنا العار بلبستك هذه وقص عليه الخبر . ولكن لم يمض عام حتى لبس المعترض تلك اللبسة فقال له كما قال له فخجل وطلب منه الإقالة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإنا لسائلوهم لو لم تكن الاديان التي تدور على الخوف والرجاء من القوة الغيبية، والعدل والاحسان في البرية . كيف كان المرء يصنع اذا حفت به المصائب، وانهكته النوائب، أيجتلب بيده لنفسه المنية، لانه رأى الحياة قرارة الآلام الحقيقية، وعش الآمال الوهمية، وكيف بيده يذهب الحياة وهي حبيته وان عضته، ومناه وان منته فمنته ؟ أم يصبر تحت مأقل من اعباء الحياة صبر الحمار الذي لاغرض له في المحمول ، ولا أمل له بغير العفص المأكول ، ؟

وكيف يصنع المرء اذا لاحت له رغائب، فيها للغير مطالب، أيرعي الغير وهو على أن يبيده قدير، وبأن يؤثر نفسه جدير، أم يبيده في الهوى، ويفعل الآخر هكذا حتى لا يبقى سوى، أم الرغائب حد تقف النفس لديه، أو مطلوب اسمى تلتفت اليه. أهذا شرعكم أيها الماديون أن يبيد القوي الضعيف أني ثقفه، ويشيد على الجنايات والخيانات شرفه، فكم اخطأ الناس اذ لم يتبعوا فيكم شرعكم، ويذرعوا لكم ذرعكم ، كأن لذتكم ان لا تكون الحكمة التي بها نظام العالم التي من أجلها رحمكم من هم أقوى منكم وتركوكم بمواهبكم كلها تتمتعون، أفهذا جزاؤكم للحكمة أن تغيروا عليها بتخميس كثيف من التوهيمات الشعرية التي تريدون ان تهدموا بها قواعدها، وتحرموا الناس فوائدها، ؟

أفأمنتم من أنصارها الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، ما تظنون، وبئس ما تصنعون، فتفكروا لعلكم ترشدون، وتذكروا لعلكم تشكرون.

خلاصة

والخلاصة من كل التفصيلات المتقدمة أن اقبال الجماعات الكثيرين، على دعوة هاد من الهداة المطهرين، معراج من معارج الانسان في العلم بعد الجهل، والقوة بعد الضعف، فالفضيلة التي تكره الضر، وتنهى عن الشر، تبتهج نفسها بهذه الام التي تربي في حضنها أقوامًا تباعدوا في الصور، كما تباعدوا في الكور، حتى صاروا يتقاربون في القلوب، ويرحم الغالب منهم المغلوب، والسياسة التي تهوى القوى، لتوزن كل جماعة مع السوى، تقرعنها بهذه الام التي تربي لها حامية: لا تسأل يوم الواقعة ماهيه،

(ع . ز)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آثار الإمام محمد عبده

تفسير سورة العصر

قد جمعنا من المنار تفسير سورة العصر للاستاذ الامام وطبعناه وحده في كتاب صغير الحجم كبير الفائدة وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ أو خطابه في تونس وموضوعه (العلوم الاسلامية والتعليم) . ويعلم قراء المنار ان هذا الكتيب ركن من أركان الاصلاح والارشاد وقد كتب الشيخ محمد بن مصطفى أحد علماء الجزائر المشهورين بتآليفهم المفيدة كتابا للاستاذ الامام يقول فيه ما نصه :

(وقد اطلعت في المنار الأنور على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع فراقني اسلوبه الفائق العجيب ، وأخذ مني منزعه المجيب بالتلابيب ، فلله أنتم ، ولله درركم ، ما أبعد غور فكركم الصائب ، وغوص ذهنكم الثاقب ، في استنباط دقائق المسائل ، وتقرير حقائق الفضائل ، ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والاعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوه جدا واستجزلوا فوائده وأبدوا من السرور ما لا مزيد عليه وأثنوا على جنابكم السامي بما أنتم أهله ، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الدارين ، اهـ

هذا وانا قد جعلنا ثمن هذا الكتاب في مصر قرشا صحيحا واحدا تسهيلا لاقتنائه على مجاوري الازهر وتلامذة المدارس الذين هم أجدر الناس بالاستفادة من حكمه العالية وأسلوبه الرفيع . ومن طلبه في البريد فعليه ان يزيد أجرة إرساله

قصيدة عالم جزائري في الاستاذ الامام

أطلعنا على قصيدة تزيد على الخمسين بيتا للشيخ عبد الحليم بن علي بن سماية أشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها اليه في القاهرة من عهد قريب فسرنا منها انها آية من آيات صلة علماء الاسلام بعضهم ببعض في الاقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الاستاذ الامام ، واننا نقتطف منها هذه الابيات

فأنت لنا شمس تنير على المدى ... أتى نورها من غير أن نتطلعا

أدير بذكراك الذي منك قد مضى ... فأشرب كأسا بالصفاء مشعشعا

إهداء من المكتبة الألوكة www.alukah.net

يذكرنيك المجد والعلم والتقى فأنظر من عليائك عرشا مرفعا
وتلوي الى تلك المجالس فكرتي فتترك قلبي بالخيال ممتعا
محافل كان العلم فيها مجالسي أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فأسمع فصلا من حكيم وحكمة اذا مابدت خرت ذرى الزور ركعا
فما بال أقوام هدى الله عقلهم يمارون فيه والسحاب تقشعا
ألم ينظروا الآثار تشهد بالعلى وان نبيع الماء يوجب منبعا
لسان مسى يوماً تألق برقه يسبح رعد السامعين لمادعا
أمن بعد اجماع عليه وأخذه نراه على أيدي الهوى قد تزعزعا
فهل مرية من بعد حق مشاهد وما الحق الا أن تراه وتسمعا
يقول يشد الفعل متن بيانه وما القول لولا الفعل الا مصدعا
يطالب بالاعمال في العلم أهله وحق له من عالم قد تضلعا
لعمرك ماتغني العلوم وحفظها اذا لم تكن فيها خطيبا ومصقعا
تحس بها كالماء يسري بعوده متى رامه فكر لامر تجمعا
أتي بكتاب في الكلام بيانه يغادر من صم الجنادل خشعا
ويمسح وان القلب عمن له رنا يسكن جاش القلب مهما يردعا
براهينه في النفس والكون والحجا وليست لرسطاليس أو من تصنعا
تنزه عن دور وغل تسلسل وحكم سلسلت آياته من تقطعا
يقودك للبرهان غير مقيد يريك حدود العقل مهما تطلعا

باب الاعتراض والرد

مجلة بشائر السلام

يعلم قراء المنار اننا أنشأنا فصولا كثيرة في الرد على هذه المجلة البروتستنتية المعتدية على الاسلام وكتابه القرآن الحكيم، ونبيه خاتم النبيين، وهذه الفصول منشورة في المجلة الرابع والخامس والسادس ولما لم يزدها الرد الذي كشف النقاب عن أباطيلها وأظهر

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

لها الحق الا لجاجا وعناداً حركت الغيرة بعض أعضاء مجلس شورى القوانين فخاطبوا الحكومة في شأنها وقبل ان يخاطبوها طلبوا منا أعداد المجلة ليراجعوها ويطلع بعضهم بعضا على مافيها من الطعن الممنوع قانونا وأدبا وكنا سكتنا عن الرد في أجزاء قليلة لكثرة المسائل العارضة فاضطررنا الى الاستمرار على السكوت لان الاجزاء لم تعد الينا وقد توهم بعض القراء اننا سكتنا لاجل اعتراض ذلك المعترض من الاسكندرية الذي لم يستحسن الرد على المجلة وزعم ان ذلك يزيد في نشر شبهاتها فصار الناس يسألوننا عن ذلك حتى كتب الينا قاضي جزيرة البحرين — وهو من فضلاء أهل العلم والدين — من كتاب طويل مانصه :

« وهأني على تقاريرك عن شبهات النصارى فمالي لاأرى لها ذكرا، فوربك انك أجوبتك كالشهب المحرقة لشياطينهم المزقة لشبهاتهم، وفهمي من مدلول علمك، ونور عقلك، فما أظنك تصغي لغير انتقادك في أجوبة شبهاتهم، وعلته التي فاهبها أو هي من انتقاده، أوفي حسبانه ان يرى أصوات شبهاتهم محصورة فيما بينهم؟ بل بعد ما أوحى بها شياطين جنهم، فاه بها شياطين أنسهم، » الخ

فليعلم القاضي الفاضل وغيره من القراء، اننا لم نترك الرد على المقتدالهراء، فانا نعلم ان فينا من لا ترضيه منا الحسنات، ويود ان يحولها الى سيئات، وكما انتقد ذلك الاسكندري علينا بالامس الرد على المعتدين على الاسلام من الذين قالوا انا نصاري، انتقد علينا اليوم الرد على المعتدين على الاسلام من الذين قالوا انا مسلمين، وحرموا علينا طعام أهل الكتاب وهو حلال بنص الكتاب المبين . وحرموا علينا لباسهم وقد لبسه الرسول الامين، ومن أعجب فنون الجنون ان يشتمك شاتم سراء، ويكلفك ان تشم نفسك جهراء على ان هذا الجاهل أراد ان يذم فمدح فقد قال انا استبدلنا الطيب بالخبيث والحلو بالمر ومعنى هذه العبارة في لغة القرآن انا جعلنا الطيب بدلا من الخبيث والحلو بدلا من المر والمعنى بعكس ذلك في لغة الجاهلين وهو ما أراده الشاب

اما ما كان من أمر مجلس الشورى والحكومة فان الحكومة خاطبت وكيل انكلترا السياسي في الامر لان الذي يصدر تلك المجلة الخاطئة انكليزي غير اللورد كرومر الحكومة بين محاكمته واستتابته فرضيت بالثانية فوبخه اللورد واستتابه . ولما انبرى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلس الشورى لهذا الامر قام أحداث السياسة يفتجرون في جرائدهم ويفتخرون زاعمين أنهم أنصار الدين ، وأصحاب الغيرة على الاسلام والمسلمين، وانه لولاهم لم يتعرض مجلس الشورى لمخاطبة الحكومة في شأن تلك المجلة . ومن عجائب فوضى هؤلاء الاحداث ان واحدا جديدا منهم قام يعترض على أكبر المتصرين للدين ويرميه بالتقصير في مقاومة بشائر السلام وهو يعلم أولا يعلم أنه لولا ما قال أحد كلمة في هذا الانتصار فيما نظن ولو كان هذا وغيره من أصحاب الدعوى العريضة يحبون الدين ويغارون عليه أو لو كانوا يعرفونه لعرفوا أنصاره واتخذوهم أئمة لهم لا أعداء واضدادا . وانا نرجو ان ترد الينا الاجزاء تلك المجلة التي أخذها بعض اعضاء المجلس لنتم الرد على تلك الشبهات الموهنة لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

الشيخ محمد الاشموني ـ وفاته

فاتنا ان نذكر في الجزء الماضي وفاة شيخ شيوخ أهل الازهر الشيخ محمد الاشموني الذي قيل فيه انه لا يوجد عالم أزهري الآن الا وقد أخذ عنه أو عن أحد تلامذته وقد أبنته الجرائد بمثل: البخاري حديثا والشافعي فقها وسيبويه نحواً: ولكنها لم تذكر له مزية غير انه عالم كبير . وقد بلغنا انه كان يمقت هذه الحواشي فلا يقرأها وكان يحفل بما يحفل به الشيوخ من كساوى التشريف ولقاء الامراء بل يكره ذلك. وروي أن سائلا سأله في الدرس عن حكم لبس البرطلة (البرنيطة) فأجابه: جئني بواحدة ألبسها لك هنا : اي في الازهر. وكان صاحب انبساط ودعابة مع جلسائه. مات عن مئة سنة ونيف رحمه الله تعالى

جاءنا بعد جمع المنار وقبل طبع هذه الصحيفة الاخيرة منه مقالة من احد علماء الديار التونسية في تأييد فتاوى مفتي مصر للترانسفالي فأرجأناها الى الجزء الآتي

(تصحيح) قال الاستاذ الامام ان الاولى ان تستبدل كلمة (المشاعر) في السطر السادس بكلمة الشعائر من الصفحة ٨٤٤

ثبت لدى قاضي مصر أن أول ذي الحجة كان يوم الاربعاء فعيد الاضحى يكون الجمعة جعله الله مباركا على أهله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢١ — ٣ مارث ، آذار) سنة ١٩٠٤)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب الفقه في أحكام الدين

تأييد علماء الآفاق، للفتوى بحل طعام الكتابي على الاطلاق

نادت الجريدة المحمدية علماء الاسلام في الغرب والشرق للكتابة في موضوع فتوى مفتي الديار المصرية للترانسفالي بحل طعام أهل الكتاب أو ذبائحهم خاصة وذكرنا في الجزء الماضي ان أحد علماء الديار التونسية أرسل الينا رسالة في ذلك ثم رأينا رسالة أخرى لبعض علماء فاس الاعلام في ذلك أرسلها مع كتاب منه الى الاستاذ الامام — كما رأينا مقالات في بعض الجرائد الهندية — فرأينا ان ننشر الكتاب ثم الرسالتين لما في ذلك من تأييد الحق وصلة علماء الاقطار الاسلامية بعضهم ببعض في النوازل الفقهية ومن خذلان الباطل وأهله . وهذا نص كتاب العالم الفاسي:

« الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

« سيدنا الامام ، الدراكة الهمام ، المتبحر مفتي الانام ، القائم بشريعة الاسلام ، الطائر قصب السبق ، في الفضل والتقدم والمجد ، الاستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبد الله سيدي محمد عبده . سلام على سيادتكم ورحمة الله .

« أما بعد فالمقصود الاعلام بأننا على محبتكم وودادكم وان لم نركم بالابصار ، لكن نرجو الله تعالى بفضله ان يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحبيبنا الفقيه الوزير العلامة الاسعد ، البركة الفاضل الامجد ، أبو عبدالله سيدي محمد العباس الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيرا بالجزائر قبل هذا الوقت وان كان لم يتلاق معكم أيضا هنالك وقد تأسف على ذلك . وجاءه خبركم وهو بوجدة فرجع سريعا الى الجزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هنالك وان كان تلاقى معكم نجله المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ولا زلنا جميعاً نرجو الله تعالى ان يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال، بجاه النبي والآل .

« ثم انه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبته بما قاله الامام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جوابا بذلك ، فاذا به جاءنا جريدة من محروسة مصر فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتواكم عن ثلاث مسائل فأعجبني وسررت بها غاية سرور وعضدتها كما تالي في النوازل علمتها ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاما لبعض المارقين من الدين اغتممت لذلك وعزمت ان أوجه لكم بعض ما كنت قيدته فيها من كلام الائمة المهتدين فشاورت في ذلك الوزير المذكور، فحث علي في تقديم ارساله على جميع الامور، وأنجيه ذلك مظهرا به غاية الفرح والسرور، ومسلما عليكم أيضا وطالبا صالح أدعيتكم في خلواتكم وجلواتكم، والسلام — ١٤ ذي القعدة الحرام عام ٢٩. (الهدي الوزاني بفاس)

وأما رسالة هذا العالم فهذا نصها وكتب انه لم يرسل جميع ما كتبه لعدم الحاجة اليه

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد فهذا جواب عما كثر فيه الخوض بين الناس في ذبيحة الكتابي هل تؤكل أم لا؛ ففي نوازل العلامة أبي عبد الله سيدي محمد الورزازي أنه (سئل) عن ذبيحة الكتابي هل تحل المذكى كيفما كانت سواء وافقت ذكاتنا أم لا أوفيها تفصيل؟ (فأجاب) قال الامام ابن العربي: اذا سمى النصراني عند ذبيحة حل للمسلم ان يأكلها لان الله تعالى أحل لنا أكل طعامهم الذي يستحلون في دينهم وكل مايرونه في دينهم فانه حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه. الخ (وقد تقدم في الصفحة ٧٧٩ من المنار. ثم قال الفاسي):

«قلت ومعنى قوله: وقد قال علماؤنا: الخ انه حيث أباح العلماء وطء نسائهم وبناتهم المقبوضة منهم في الصلح معهم مع ان ذبح أشد من طعامهم الذي يستحلونه في دينهم فيجوز لنا أكل ذبيحتهم بالاحرى لانه يحتاط في الفروج مالا يحتاط في غيرها والله أعلم

«وقد أفتى الامام الحفار بمثل ماقاله ابن العربي وانتصر له كما في المعيار ووجهه فقال: أفتى ابن العربي بجواز أكل ذبيحة ذلك نصراني رقيها ولا اشكال فيه عند التأمل لانه تعالى أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه المباح لهم من غير كراهة المشروعة لهم ولا يشترط موافقة ذكاتنا: «ا هـ. ملخصا. قاله الحفار وقد تقدم في ص ٧٧٩ و ٧٨٠) من المنار. ثم قال الفاسي:

«وقد سكت ابن عرفة عن فتوى ابن العربي وأقرها وقال: حاصله ان مايرونه ذكى عندهم حلال لنا وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة: «وكذا ذهب اليه ابن رشد في

الجديد NEW & EXCLUSIVE

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحفاد وسلماه أيضا. قلت: وأنا تابع لهم أيضا

« الدليل على صحة ما قاله الامام ابن العربي ما ذكره العلماء فيما ذبحه أهل الكتاب للصنم فانه حرام مع المخنقة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا. قال الشيخ بناني على قول المختصر « وذبح لصنم » مانصه: الظاهر أن المراد بالصنم كل ماعبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصليب وغيرهما وان هذا شرط في أكل ذبيحة الكتابي كما في التتائي والزرقاني وهو الذي ذكره أبو الحسن رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح ونصه: كره مالك رحمه الله ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقوله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يحرمه اذ لم ير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لان الآية عنده انما معناها فيما ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك: ه.

« وقال في سماع عبد الملك عن أشهب: وسألته عما ذبح لكنائس قال لا بأس بأكله: ابن رشد: كره مالك في المدونة أكل ماذبحوا لأعيادهم وكنائسهم، ووجه قول أشهب أن ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان تكون حلالا لنا لان الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وانما تأول قول الله عز وجل « اوفسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعا: ه

« فتبين ان ذبح أهل الكتاب اذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لانهم لا يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة اباحته (*) وهذا هو المراد هنا. واما ماياتي من الكراهة في ذبح الصليب فالمراد به ماذبحوه لانفسهم لكن سموا عليه اسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم: هذا لغرض من كلام بناني وسلمه الرهوني بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لانه علق جواز الاكل على كونه من طعامهم والمنع منه على ضد ذلك. وأيضا ليس كل مايحرم في ذكاتنا يحرم أكله في ذكاتهم كمتروك التذكية عمدا فانها لا تؤكل بذبحنا (١) وتؤكل بذبحهم حسبما تقدم فاذاً المدار

(*) المنار: يؤيد هذا ماسبق لنا من أن المدار في التذكية على القصد الى الاكل (١) هذا على مذهب المالكية وأما الشافعي فيبيح أكل ذبيحة المسلم وان ترك التسمية عليها عمدا أو سهوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على كونها من طعامهم لاغير والله أعلم

« فظهر ان ماقاله الامام ابن العربي لم ينفرد به بل تبعه عليه جماعة من المحققين، لكنه اعترضه عليه جماعة من المتأخرين ، قال ابن ناجي في شرح الرسالة : واذا كان النصراني يسل عنق الدجاجة فالمشهور ان لاتؤكل وأجاز ابن العربي أكلها ولو رأيناه يسل عنقها لانها من طعامهم : ابن عبد السلام وهو بعيد : ه وبالغ البساطي فقال : ليت قوله هذا لم يخرج للوجود ولا سطر في كتب الاسلام : ه ابن سراج : وهو هفوة لانا اذا لم نستبح الوحشي بعقرهم فأحرى الانسي . وعلى استباحته فعلله اللخمي بانه ذكاة عندنا وعقرهم الانسي ليس بذكاة عندنا فلا يباح بذلك : ه

« قلت وهؤلاء المعترضون عليه لم يأتوا بحجة ولادليل ، ولابنص صريح أو رواية تشفي الغليل ، وانما أتوا بمجرد كلام خشن ليس فيه أدب مع القاضي ، لاعتقادهم أنه خالف ماتقرر قبله في الزمان الماضي ، ولاسيما الشيخ الرهوني رحمه الله . وايضا المعترض عليه هو ابن عبد السلام وابن سراج والباسطي ، والمؤيد لكلامه هو الحفار وصاحب المعيار والزياتي فيتقابلان ويتساقطان ويبقى كلام ابن العربي سالما

« وقول الشيخ الرهوني : ويكفي في كون مالابن العربي شاذا اتفاق الائمة على عزوه له وحده الخ : فيه نظر ظاهر لأن هذه المسألة انما تكلم عليها ابن العربي فقط دون غيره من الائمة فلم يتعرضوا لها بنفي ولا باثبات فلذلك نسبوها له وحده وانما يصح ماذكره لو تعرضوا لها في كتبهم وأفتوا فيها بخلاف ماقاله هو فهنا يصح له ماقاله . أما حيث سكتوا عنها وهو الذي تكلم عليها بالخصوص فلا . وأما اعتراضهم عليه فقدمنا انهم لم يأتوا عليه بدليل فهو والعدم سواء . وقول ابن سراج : لأنا اذا لم نستبح الوحشي بعقرهم فأحرى الانسي الخ : لاحجة فيه لان الوحشي كما قاله الزرقاني انما لم يستبح بعقرهم لان فيه نوعا من التعبد أي وليسوا هم من أهله فتأمله . وأيضا ماقاله غير متفق عليه عندنا بل معترض ولايحتج بمختلف فيه كما هو معلوم . قال الزرقاني على قول المختصر « وجرح مسلم » الخ مانصه : فلا يؤكل بصيد الكافر لقوله تعالى « تناله أيديكم ورماحكم » أي والخطاب للمؤمنين وانما افترق صيده من ذبحه لان في الصيد نوع تعبد ووقوعا مع الاضافة الى المؤمنين في الآية ولايعارضه عموم « وطعام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذين أوتوا الكتاب حل لكم » كما استدل به أشهب وابن وهب وجماعة على عدم اشتراط الاسلام لتخصيصها بالآية الاخرى جمعا بين الدليلين : الخ

« وقال في التوضيح : الاستدلال بهذه الآية على منع صيد الحيتان هو الذي في المدونة وفيه نظر لأنه اختلف في المراد بهذه الآية فقيل المراد بها إباحة الصيد وقيل مذبوحه واختاره اللخمي وغيره . وان المراد الاستباع في حال الاحرام . والابتلاء في « ليبلونكم الله » الاختبار هل يصبر عنه لقوله تعالى « ليعلم الله من يخافه بالغيب » ولقوله تعالى « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » اه نقله بناني واقره . وكذا سلمه الرهوني بسكوته عنه فاستدلال ابن سراج بما قاله باطل لا يصح : وقال الرهوني على قول الزرقاني : كما استدل به أشهب وابن وهب : إلخ مانصه : ماقاله هؤلاء هو الذي اختاره الباجي وابن يونس وابن العربي واللخمي . وقيل انه مكروه قال ابن بشير ويمكن ان تحمل المدونة على الكراهة : الخ قلت ترى بعضهم نظر في كلام المدونة وبعضهم تأوله كما ان جماعة من أهل المذهب خالفوه فكيف يستقيم الاستدلال به لابن سراج ؟ والله أعلم . قاله وقيده عبد ربه تعالى محمد الوزاني . اه اللخمي الدمراني

(المنار) جاء في كتاب الصيد من المدونة بعد ما تقدم في صيد اليهودي والنصراني مانصه :

« قال سحنون قال ابن وهب لا بأس بأكل صيدهما وقال علي بن زياد فانا لا أرى به بأسا لان الله تبارك وتعالى قال (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اه

وهذا هو المتبين والآية وليست في الموضوع وانما هي في المحرم بالحج

وجاء في كتاب الذبائح من المدونة مانصه :

« قلت أفتحل ذبائح نساء أهل الكتاب وصبيانهم . قال ما سمعت من مالك فيه شيئا ولكن اذا حل ذبائح رجالهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبيانهم اذا أطاقوا الذبح قلت : أرأيت ماذبحوا لاعيادهم وكنائسهم أيؤكل ؟ قال قال مالك أكرهه ولا أحرمه وتأول مالك فيه (أو فسقا أهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يحرمه . قلت أرأيت ما ذبحت اليهود من الغنم فأصابوه فاسداً عندهم لا يستحلونه لاجل الرئة وما أشبهها التي يحرمونها في دينهم أيحل أكله للمسلمين قال كان مالك مرة يجيزه فيما بلغني . اه

فأنت ترى هذا النص أوسع مما ذهب اليه ابن العربي الذي اشترط ان يأكل منه

www.alukah.net

أصبارهم ورجالهم ولذا كان الامام مالك تأول النص في الحر بمعنى عاديا وهو ما أهل لغير الله به لاجل صوم حل طعام الكتابي فحاول القاضي أبي بكر ما قال الكتابي عنده لاحتياج الى تأويل فان القرآن لا يتناول بالنص الا ليس من البتة حقا أنفعا ولا من المخنقة وطلبهما نافع من قبيل الخنوق ولا نص فيه فان المخنقة في اللغة ما اختنقت بدون فعل فاعل وهو الذي رجحه المفسرون. قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى والمخنقة ما نصه. (الجزء السادس صفحة ٣٩)

«وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال هي التي تختنق اما بوثاقها اما بادخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتختنق حتى تموت وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك من غيره لان المخنقة هي المصروفة بالاختناق دون حتف غيرها علما ولو كان معنيا بذلك أنها مفعول بها الخنق كان في الكلام ما قالوا اه

رسالة العالم التونسي

الى العلامة النقاد السيد منشي «المنار» الاغر

لقد كنت أحب ان أوجه الى منابركم شيئاً من قوادح أفكاري، وأنيط بهمته العليا قبسا من نار ي، وما كنت أحسب أن سيكون أول شيء أنبئكم فيه برأيي مسألتين كثر فيهما الغلط والاختلاف بالقطر المصري وقتنا، ولكن من البحث ان استهداد الناس وتهافتهم على مهواة الغلط في هاتين المسألتين شفع لي الى عظمتكم بعزم اصدر ازدواجيها هاته النتيجة التي توافكم، ونظاما عجيب بعلما على ان أصدع في منابركم بتحقيقات أحب ان أزيل بها أوهاماً عن بعض الآراء بدتا غير وائق بجريدة تصلح لنشر المسائل العلمية الحقيقية الا جريدتكم التي بنيتها على أساسي العدل والشرع لا على شفا جرف الجمود والمغالطة — ثم يصدني عن ذلك وفرة الاشغال، وسرعة المناظرين الى تسليم سلاح الجدال، وما صادفت مسألة كثر فيها الغلط عن سبيل سركم، واعتياد على عمى إرضاء العامة وتعصب، ما صادفت في هاتين المسألتين وهما مسألة أكل موقوذة الحكاني ونحوها من طعامه ومسألة لبس قلنسوة أو نحوها من لباس غير المسلمين، اللتان أفتى فيهما ذلك الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية بالجواز لبعض مسلمي القرائر قال وأبان ذلك بما لا مطعن فيه، ولا يتوقف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد النظر اليه ، ولكن بعض من يشهويه حب الهذيان ، والحكم فيما لا ترضى فيه حكومته من مسائل الاديان ، أبى ان يلقي عصا التسليم ، ووجدها فرصة للطعن في رجل من العلماء عظيم ، بتمويهات ربما استرهبت العامة الذين دينهم الفهم ، واستهوت العلماء المشهورين بهم ، الذين متى نزلت بهم الحادثة سردوا ما يحفظونه من الكلمات ، بدون ملاحظة لجانب الحقيقة ولا التفات ، ولقد كان الكثير من المنكرين ساهين أو متغاضين عن مصدر المسألة هل هو الرغبة والاستحباب ، أم تحقيق الحق وازالة الحجاب ، ولكن مع هذا لم يزل من بين قومنا طائفة من اساتذة العلوم الذين تخيل نباهتهم القشر من اللب يفهمون الحقيقة خلافا لما لمحناه في بعض الجرائد المصرية — ان صدقت — من الحكاية عن الازهريين خطأ صريحا ، وكم من عائب قولاً صحيحاً ، وربما كان بعض الجرائد التي لا يقوم لاحتجابها وزن في الاجتماع ، ولا يلهو بها الا البطالون من الرعاع ، قد أخذ في هاتين المسألتين نصيبا مع الناس . وأعجب من هذا وذاك انهم رأوا ان يغالطوا الجدال في هاتين المسألتين بتوجيههما الى حكم مشيخة الاسلام في الاستانة العلية وجهلوا ان حكم الله لا يثبته الا الدليل ، سواء كان من الاكثر أم من القليل ، وسواء أحبه الناس أم كرهوه ، وبادر المجنون الى العمل به أم أخروه ! ، وذلك كله أنبأنا (وهو صادق فيما ينبي) ان كثيرا من الجرائد المصرية لا يترقب من بحثه بيان الحقيقة أو بالاقل دفع مرة الغلط وانما يقصد أن تصدر جريدته في الميقات المعين لها ملأى كلاماً ، ولو علم انه مبحث يقال لمثله فيه عند المعارضة سلاماً ، ونحن (وان كنا في غنىً عن تعب تغيير هاته الاخلاق بما التزمتموه في مناركم من تشخيص الحقيقة) أحببنا ان نصدع بكلمات لنا ليعلم أهل الحق ان لهم نصراء لا يزالون ظاهرين وان أصبحوا ضعفاء الشيعة ، ورمية رهط يريدون مسخ الحق وتشنيعه ، وما كان الله تعالى ليودع دينه أو يضيعه :

﴿ الموقوذة ونحوها من ذكاة أهل الكتاب ﴾

« لما انقسم الناس في الدين الى مقلدين وناظرين وجب ان نخوض عباب هاته المسألة تارة الى وجهة التقليد واخرى الى هدي النظر . فأما الخطة الاولى فان الناس بعد ان اتفقوا أن الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب واتفقوا على ان ذبائحهم داخلة تحت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عموم طعامهم واتفقوا على أن لا يشترط في ذبيحتهم ان تكون على الوصف المسطور في كتبهم اختلفوا فيما كان من ذكاتهم على بعض الصفات التي نص الله تعالى في صدر الآية على تحريمها كالمنخنقة والموقوذة وما أهل به لغير الله والخلاف فيها في مذهب مالك معلوم لمن كان ذا بصر في الفقه ـ ذهب ابن عبد الحكم وابن وهب من أصحاب مالك فيما ذبح لغير الله للكنيسة أو للمسيح الى جواز أكله وذهب ابن القاسم الى منعه وهذا يرشد الى انهم يختلفون في تخصيص الطعام المباح بغير ما تلي من قبل وفي تخصيص تحريم ما تلي علينا بحالة لا يكون فيها طعام أهل الكتاب. ونحن هنا لا يهمنا أن نبحث عن ترجيح أحد الاحتمالين حتى نبحث في المسألة بحث المجتهدين. وعلى قولي ابن عبد الحكم وابن وهب انبني ما أفتى به القاضي أبو بكر ابن العربي. والذين يكشف عن خلاصة الفقه في هاته المسألة قول الامام عبد المنعم ابن الفرس الخزرجي الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ في أحكام القرآن ونصه:

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى «وطعام الذين أوتوا الكتاب» فلا خلاف في أنها حلال لنا وأما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلف فيه فذهب الاكثرون الى ان ذلك من أطعمتهم.. وذهب ابن عباس الى ان الطعام الذي أحل الله لنا ذبائحهم فأما ما خيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه .... واذا قلنا ان الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عمومه أم لا؟ فالاكثر الى ان حمل لفظ الطعام على عمومه في كل ما ذبحوه مما أحل لهم أو حرم الله عليهم أو حرموه على أنفسهم. والى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم الى المراد من ذبائحهم ما أحل الله خاصة وأما ما حرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم. وذهب قوم الى ان المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعا الا ما حرم الله عليهم خاصة لا ما حرموه على أنفسهم والى نحو هذا ذهب أشهب.. والذين قالوا الله يجوز لنا أكل ما لا يجوز لهم أكله اختلفوا هل ذلك على جهة المنع أو الكراهة وهذا الخلاف كله موجود في المذهب واختلف أيضا فيما ذبحوه لأعيادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الاباحة أم لا؟ فذهب أشهب الى ان الآية متضمنة تحليله وان أكله جائز وكرهه مالك رحمه الله. وتأول قوله تعالى «أو فسقا أهل لغير الله به» على ذلك..

«الذين أوتوا الكتاب» اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من هم . . . . وقد اختلف في المجوس والصابئة والسامرة (كذا) هل هم ممن أوتي كتابا أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم وما كحتهم آه ملخصه

والناس وان اختلفوا في الرجل المدعو الى وليمة النصراني هل يأكل مايراه وقد فهم يتفقون في محل الضرورة في بلادهم لا يذبحون الا كذلك فماذا يصنع المسلم بينهم ! وربما كانت هاته الكلمة تحرك مسألة تقدير الضرورة ماهي في قوله تعالى « الا مااضطررتم اليه » ولنا فيها فهم (*)

فان أردنا ان نخوض في هاته المسألة خوض العارفين الناظرين — وقليل ماهم — فانا نقول وردت الآية « حرمت عليكم الميتة والدم » الآية فحرمت اشياء سمتها واباحت شيئا بالعموم وهو طعام الذين أوتوا الكتاب فمن المحتمل ان يكون عموم قوله « طعام الذين اوتوا الكتاب » مخصوصا بما سمي من المحرمات وقد يحتمل ان الله تعالى أراد عموم الطعام فأورده بعد ذكر المخصصات على وجه يشبه ورود النسخ بعد النص وان كانت الآية هنا واحدة والحنفية قائلة بتقدم العام الوارد بعد الخاص انه ناسخ وخالفهم جمهور المالكية والشافعية فرأوه مخصوصا بالمتقدم والحقيقة في هذا الأصل أن العام اذا ورد بعد الخاص على وجه لا يمكن فيه الجمع بين عمومه وخصوص الخاص ينسخ الخاص لمقدار مدلول عمومه لا يبطله فكان شبيها بالبيان ولهذا سماه الحنفية ناسخا نظرا لنسخه ماقتضاه الخصوص أول مرة ولم يسمه غيرهم نظرا الى أن النسخ ابطال الحكم كله وكأنه خلف في اللفظ والغاية متحدة .

ولقد رأيت رأيا ربما رجح أحد الاحتمالين أيضا وهو ان الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب بعد ان قال « اليوم أحل لكم الطيبات » والطيب ماوافق شروط الله تعالى مما شرع لنا ثم قال « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » فنبه بعطفه على الطيبات عطف الجملة على الجملة أنه حلال . فلم يكن على شروطنا وكان في مظنة يكون

(*) المنار : الى هنا انتهى بحثه في المسألة من جهة التقليد وبه علم ان كبار أئمة المذهب قالوا بحل ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان لم تكن على طريقتنا بل ولا على طريقتهم في قول وان ذكروا عليها اسم غير الله تعالى . واما بحثه الآتي فهو من طريق النظر والاستدلال وهو لا يزيد قارئه الا حيرة في الدين وان كان مقلدا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها غير طيب أو تحقق فيه أما ان وافقنا فلا حاجة الى التعرض عليه. وأما قال الله تعالى «أوتوا الكتاب» دون الذين يتمكنون بالكتاب أو يقرءون الكتاب ليرشدنا الى ان مناط الحكم هو ان يكون الطعام طعام من له انتساب الى الكتاب ولو انتسابا تاريخيا لم يبق منه الا الاسم وتشبيه فلا يكلفنا البحث عن صحة فقههم فيما يأتون من ذكاتهم وكيف يكلفنا ذلك وهو تعالى يعلم وقد أعلمنا انهم بدلوا كتبهم تبديلا ورفع الثقة بها ونسف العلم بصحة أي شئ منها لاحتمال التبديل فيه . فذهب ما يهذي به كثير من الناس يسرد علينا نصوص التوراة . ومن عجيب حالتهم المضحكة المبكية انهم يبتدؤن بالنكير على الناظرين في الدين ثم هم يجتهدون فيه ويشرحون مراد الله تعالى بالتوراة والانجيل ، بعد ما أيقنوا من التحريف والتبديل .

أما نقل فتوى الاستاذ الامام من هذا الباب الى باب ما يذبح بعد عقره أو جرحه فانني اخال أنه دخول الى مفازة يعسر الخلاص منها لانه بعد موضع يفصل فيه الفقهاء حالها بعد الوقد هل كانت تعمل فيها الذكاة واحتجاج الاستاذ الامام أيده الله وسؤال السائل يدلان انهما ما قصدا الا صحة هذا الذي كان من أهل الكتاب لا أن المسلم يستأنف فعله (*)

﴿ لبس القلنسوة ونحوها من لباس الكفار ﴾

أما مسألة القلنسوة فحسبهم من حيث التقليد ان الفقهاء ما قالوا إن لبس أي شئ من ثياب الكفار موجباً للردة الا لباس الدين حيث ينضم اليه قرائن تفيد كونها قطعا بان صاحبه انسلخ عن الدين وفرق عظيم بين نحو الزنار لباس الكنيسة وبين لبس القلنسوة ونحوها من لباس الشعب والأمة التي ما كان الدين فيها الا اتفاقيا وقد أنهى بعضهم حكم لبسها الى الوجوب وبين الردة والوجوب مراتب كثيرة منها الكراهة أو الاباحة والذي يجب ان ينظر نظر الفقيه عليه من التفاصيل يمكنه مع ذلك ان يخرج بحالة الحكم في صورة لاستفتاء فان كنا مر أهر الخبر قلنا ان الردة والايمان أمران لا يتعلقان الا بالفؤاد

(*) المنار : قد أوجز الكاتب هنا اعتماداً على تفصيله السابق وهو ان الدليل النظري ونص المذهب يدلان على ان طعام الكتابي حلال كيفما ذكى فالتفصيل الذي ذكره الفقهاء على هذا خاص بذكاة المسلم كأنه يقول اذا كانوا أحلوا ما أهل به لغير الله من ذبائحهم واحلوا ما خنقوه وعقروه ، فكيف لا يحلون ما ذبحوه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاسلام شيء يتعلق بالاذعان الى الاحكام الشرعية والاعلان بتصميم القلب على تصديقها فلا يعلان الاحيث انهدمت هاته المقومات وربما كان بعض التباس مع بعض قرائن مؤذناً بانسلاخ صاحبه من الاسلام ولكن يكون ذلك حيث يكون اللباس لباس الدين لا لباس الامة وحيث ينضم اليه ترك الاعلان بكلمة الاسلام والتردد على شعائر الكفر وكل واحد من هذين كاف في الردة وفاقا وخلافا بين العلماء إما التزام عادة من عادات الكفار لحب في العادة لا في دين أهلها أو لانطباقها على حاجة الرقي في الوجود المدني فليس من الكفر في شيء .

ليس اسلام العربي في عمامته والا لكفر اذا خلعها عند وضوئه ولا كفر الكافر في قبعته والا لكان مسلماً اذا كشف راسه للسلام . وإنا ننظر أنواع الشعوب الذين اتفقوا في الدين يختلفون في اللباس اختلافا بعيداً وما يقتضي ذلك باختلافهم في الدين كاختلاف أصقاع المسلمين بين حجازي وتركي وفارسي ومصري وتونسي كل لباس منها يخالف لباس الآخر خلافا بيناً والكل غير لباس الصحابة . فاذا لبس الرجل لباساً باعتبار اصالته فيه فذلك الواجب أدنا عليه . قد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فما سمعنا — ولو كان لسمعنا شيئا تتوفر دواعي العلماء على نقله ولا يتمد به شيوعه عن وصول ذكره — أحدا منهم أمر الفارسي ان يتحول الى اللباس العربي ثم مشاهدة المساواة اليوم بين مسلمي القطر الواحد وكفاره في زي واحد شاهدة على ما نقول الا بعدان ميز المسلمون أهل ذمتهم بعلامات حين أرادوا ان ينكثوهم ايمانهم من بعد عهدهم ولا يرقبون فيهم ذمتهم . وهل كانت ثياب رسول الله وأصحابه إلا كثياب المشركين من العرب ؟ أم هل علمناهم حين دخلوا في الحنيفية استبدلوا لبوسهم ؟ كلا ان الدين لا كبر من الاهتمام بما يهتم له الماشطات وسخفاء المزينين

أما استبدال الرجل بزي زيا آخر كيف كان بلا داع يقصد للعقلاء فهي يدل على سخافة عقل وانحراف ادراك ولذلك يتخذ سخريا بين الناس في كل زمان ومكان . ترى الرجل يلبس لبوس الافرنج لكونه من أهل الدولة فلا يلوم أو يسخر منه أحد فلو لبس عمامة العلماء وطيلسانهم لكان ضحكة للضاحكين . وبالعكس نرى العالم مثلا . وهذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو دستورهاته المتشابهات التي صيرت السهل جليلا، وجعلت هؤلاء القوم لا يكادون يهتدون سبيلا، واليكم تحيتي وسلامي على بعد الدار، وقناعة من التعرف بالاخبار، وحرر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢١ ؛ اه

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

سأل سائل من طلاب العلم في الجامع الاعظم بتونس اسمه (أبو بكر العروسي) عن مستند مفتي الديار المصرية في الفتوى بشركة التأمين على الحياة التي نشرت في جريدة المغرب قبلا عن جريدة الوطن واطال الكلام بأحكام فقهية ملكية ليست من موضوع الفتوى في شيء وانما هي من موضوع ما كتب في الجريدتين فعجبنا من ذلك

وكتب الى المفتي عالم من (وجدة) في الجزائر كتابا يقول فيه انه اطلع على ما نشرته جريدة المغرب وانه رأى ان الفتوى منطبقة على السؤال وانها حق في نفسها ولكنها لا تنطبق على موضوع شركة التأمين على الحياة وشروطها أي فساد فائدة الشركة منها غير الابهام ولما رأينا ما كتب في جريدة المغرب قد استتبع بحثا وسؤالا في بلاد المغرب على ان ما نشر في جريدة الوطن لم يستتبع مثل ذلك في المشرق احببنا ان نبين الحقيقة فنذكر أولا صورة السؤال والفتوى كما نشر في جريدة المغرب ثم نبين مثار وهم الطالب فنقول

(أما صورة السؤال فهي)

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

ما قولكم دام فضلكم في شخص يريد ان يتعاقد مع جماعة (١) على ان يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة واشترط معهم انه اذا قام بما ذكر وانتهى أمد الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصهم من الارباح واذا مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أولمن له حق الولاية في ماله ان يأخذوا المبلغ المتفق ورثهم مع الارباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيدا لارباحه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا رجوكم التكرم بالافادة أفندم :

---

(١) نشرت شركة الجريشام في مصر هذه الفتوى في كراس طبعته في بيان موضوعها واعمالها وزادت في السؤال هنا اي عند ذكر لفظ جماعة (شركة الجريشام مثلا) ووضعت لزيادة هكذا بين قوسين للاشارة الى انها لم تكن في الصورة التي قدمت للمفتي وأجاب عنها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجواب

الحمد لله وحده :

لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزاً شرعاً ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الأقساط والمدة المالية وحصول الربح أن يأخذ لو كان حياً ما يكون له من المال مع ما خصه من الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما تبعه من الربح والله أعلم

(المنار) هذا هو نص السؤال ونص الجواب كما في المجلد الثاني الا انا ذكرنا الكلمة الزائدة وهي وشركة لجريشام مثلاً في الهامش. فأين منه ما تأمين على الحياة ؟ ومن قال أو من يقول ان المفتي مجيب عن نيات الناس دون ألسنتهم ومن أمثال العامة (ان الفتوى على قدر النص) أي نص السؤال ؟ ثم انه يجوز للمفتي ان يفيد السائل بأكثر مما يطلبه ان رآه محتاجاً الى ذلك ولكن ليس لمشتغل بالعلم وقد رأى فتوى استدل بها على ما لا تدل عليه في رأيه ان يقول ما مستند هذه الفتوى في تجويزها ذلك الأمر الذي استدل بها عليه !!! .

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة تابع ويتبع

(الوجه الثاني والخمسون) قولكم : ان عمر كتب الى شريح : أن اقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فبما في سنة رسول الله فان لم يكن في سنة رسول الله فبما قضى به الصالحون فهذا من أظهر الحجج عليكم على بطلان التقليد فانه امره ان يقدم الحكم بالكتاب على كل ما سواه فان لم يجده في الكتاب ووجده في السنة لم يلتفت الى غيرها فان لم يجده في السنة قضى بما قضى به الصحابة ونحن ننشد الله فرقة التقليد هل هم كذلك أو قريباً من ذلك ؟ وهل اذا نزلت بهم نازلة حدث أحد منهم نفسه ان يأخذ حكمها من كتاب الله ثم بسنة فان لم يجدها في كتاب الله أخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان لم يجدها في السنة أفتى فيها بما أفتى به الصحابة والله يشهد عليهم وملائكته وهم شاهدون على أنفسهم بأنهم انما يأخذون حكمها من قول من قلدوه وان استبان لهم في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة خلاف ذلك لم يلتفتوا اليه ولم يأخذوا به

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه الا بقول من قلدوه فكتاب عمر من أبطل الاشياء وأكرهها لقولهم وهذا كان سير السلف المستقيم ، وهديهم القويم ، فلما انتهت النوبة الى المتأخرين ساروا عكس هذا السير وقالوا : اذا نزلت النازلة بالمفتي أو الحاكم فعليه ان ينظر أولا : هل فيها اختلاف أم لا ؟ فان لم يكن فيها اختلاف لم ينظر في كتاب ولا في سنة بل يفتي ويقضي فيها بالاجماع وان كان فيها اختلاف اجتهد في أقرب الاقوال الى الدليل فافتى به وحكم به وهذا خلاف ما دل عليه حديث معاذ وكتاب عمر وأقوال الصحابة والذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة اولى فانه مقدور مأمور فان عسلم المجتهد بما دل عليه القرآن والسنة أسهل عليه بكثير من علمه باتفاق الناس في شرق الارض وغربها على الحكم وهذا ان لم يكن متعذرا فهو أصعب شيء وأشقه الا فيما هو من لوازم الاسلام فكيف يحيلنا الله ورسوله على مالا وصول لنا اليه ويترك الحوالة على كتابه وسنة رسوله اللذين هدانا بهما ويسرهما لنا وجعل لنا الى معرفتهما طريقا سهلة التناول من قرب ، ثم مايدريه فلعل الناس اختلفوا وهو لا يعلم وليس عدم العلم بالنزاع علما بعدمه فكيف يقدم عدم العلم على أصل العلم كله ؟ ثم كيف يسوغ له ترك الحق المعلوم الى أمر لا علم له به وغايته أن يكون موهوما وأحسن أحواله ان يكون مشكوكا فيه شكا متساويا او راجحا ؟ ثم كيف يستقيم هذا على رأي من يقول انقراض عصر المجمعين شرط في صحة الاجماع فلم ينقرض عصرهم فلمن شاء في زمنهم ان يخالفهم فصاحب هذا السلوك لا يمكنه ان يحتج بالاجماع حتى يعلم ان العصر انقرض ولم ينشأ فيه مخالف لأهله .

وهل أحال الله الامة في الاقتداء بكتابه وسنة رسوله على ما لا سبيل لهم اليه ، ولا اطلاع لافرادهم عليه ، ؟ وترك إحالتهم على ما هو بين أظهرهم حجة عليهم باقية الى آخر الدهر وهم متمكنون من الاهتداء به ومعرفة الحق منه وهذا من أمحل المحال ؟

وحين نشأت هذه الطريقة تولد عنها معارضة النصوص بالاجماع المجهول وانفتح باب دعواه وصار من لم يعرف الخلاف من المقلدين اذا احتج عليه بالقرآن والسنة قال هذا خلاف الاجماع وهذا الذي أنكره أئمة الاسلام ، وعابوا من كل ناحية على من ارتكبه وكذبوا من ادعاه . فقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله : من ادعى الاجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا ، هذه دعوى بشر المريسي والاصم ولكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول لا نسلم الناس اختلفوا أو لم يبلغه. وقال في رواية المروزي : كيف يجوز للرجل ان يقول أجمعوا اذا سمعهم يقولون أجمعوا فانهم لو قال اني لم أعلم مخالفا كان (أحسن) : وقال في رواية أبي طالب : هذا كذب ما علمه ان الناس مجمعون ولكن يقول ما أعلم فيه اختلافا فهو أحسن من قوله اجماع الناس: وقال في رواية أبي الحارث : لا ينبغي لاحد ان يدعي الاجماع لعل الناس اختلفوا : ولم يزل أئمة الاسلام على تقديم الكتاب على السنة والسنة على الاجماع وجعل الاجماع في المرتبة الثالثة قال الشافعي : الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الائمة : وقال في كتاب اختلافه مع مالك : والعلم طبقات الاولى الكتاب والسنة الثانية ، ثم الاجماع فيما ليس كتابا ولا سنة ، الثالثة أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة ، الرابعة اختلاف الصحابة ، الخامسة القياس : فقدم النظر في الكتاب والسنة على الاجماع ثم أخبر انه انما يصير الى الاجماع فيما لم يعلم فيه كتابا ولا سنة وهذا هو الحق

وقال أبو حاتم الرازي : العلم عندنا ما كان عن الله تعالى من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ ، وصحت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما لا معارض له ، وما جاء عن الاولياء من الصحابة ما اتفقوا عليه فاذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم فاذا خفي ذلك ولم يفهم فمن التابعين ، فاذا لم يوجد عن التابعين فمن أئمة الهدى من اتباعهم مثل أيوب السختياني وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان ومالك والاوزاعي والحسن بن صالح ، ثم لم يوجد عن أمثالهم فمن مثل عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن ادريس ويحيى بن آدم وابن عيينة ووكيع بن الجراح ، ومن بعدهم محمد بن ادريس الشافعي ويزيد بن هرون والحميدي وأحمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم : انتهى

فهذه طريقة أهل العلم وأئمة الدين جعل أقوال هؤلاء بدلا عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بمنزلة التيمم انما يصار اليه عند عدم الماء . فمثل هؤلاء المتأخرون المقلدون الى التيمم والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير . ثم حدثت بعد هؤلاء فرقة هم أعداء العلم وأهله فقالوا اذا نزلت بالمفتي أو الحاكم نازلة لم يجز ان ينظر فيها في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا أقوال الصحابة بل الى ما قاله مقلده ومتبوعه ومن جعله عيارا على القرآن والسنة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فما وافق قوله أفتى به وحكم به وما خالفه لم يجز له ان يفتي به ولا يقضي به وان فعل ذلك تعرض لعزله عن منصب الفتوى والحكم واستفتي له ما تقول السادة والفقهاء فيمن ينتسب الى مذهب امام معين يقلده دون غيره ثم يفتي او يحكم بخلاف مذهبه هل يجوز له ذلك ام لا ؟ وهل يقدح ذلك فيه أم لا ؟ فيفعض المقلدون رءوسهم ويقولون لا يجوز ذلك ويقدح فيه ولعل القول الذي عدل اليه هو قول أبي بكر وعمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وأمثالهم فيجيب هذا الذي انتصب للتوقيع عن الله ورسوله : بأنه لا يجوز له مخالفة قول متبوعه لاقوال من هو اعلم بالله ورسوله منه وان كان مع اقوالهم كتاب الله وسنة رسوله : وهذا من اعظم جنايات فرقة التقليد على الدين ، ولو انهم لزموا حدهم ومرتبتهم واخبروا إخبار امجرد اعما وجدوه من السواد في البياض من اقوال لا علم لهم بصحيحها من باطلها لكان لهم عذراً ما عند الله ولكن هذا مبلغهم من العلم وهو معاداتهم لاهله وللقائمين لله بحجته ، وبالله التوفيق .

(الوجه الثالث والخمسون) قولكم : منع عمر من بيع امهات الاولاد وتبعه الصحابة وألزم بالطلاق الثلاث وتبعوه ايضا : جوابه من وجوه (احدها) انهم لم يتبعوه تقليدا له بل اداهم اجتهادهم في ذلك الى ما اداه اليه اجتهاده ولم يقل احد منهم قط انى رايت ذلك تقليدا لعمر (الثاني) انهم لم يتبعوه كلهم فهذا ابن مسعود يخالفه في امهات الاولاد وهذا ابن عباس يخالفه في الالزام بالطلاق الثلاث واذا اختلف الصحابة وغيرهم فالحاكم هو الحجة (الثالث) انه ليس في اتباع قول عمر رضي الله عنه في هاتين المسئلتين وتقليد الصحابة — لو فرض — له في ذلك ما يسوغ تقليد من هو دونه بكثير في كل ما يقوله وترك قول من هو مثله ومن هو فوقه واعلم منه فهذا من أبطل الاستدلال وهو تعلق ببيت العنكبوت فقلدوا عمر واتركوا تقليد فلان وفلان فأما وانتم تصرحون بان عمر لا يقلد وابو حنيفة والشافعي ومالك يقلدون فلا يمكنكم الاستدلال بما انتم مخالفون له فكيف يجوز للرجل ان يحتج بما لا يقول به .

(الوجه الرابع والخمسون) قولكم : ان عمرو بن العاص قال لعمر لما اختار خذ ثوبا غير ثوبك فقال : لو فعلت صارت سنة : فاين هذا من الاذن من عمر في تقليده والاعراض عن كتاب الله وسنة رسوله وغاية هذا انه تركه لئلا يقتدي به من يراه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويفعل ذلك ويقول : لولا ان هذا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعله عمر : فهذا هو الذى خشيه عمر والناس مقتدون بعلمائهم شاءوا اوأبوا فهذا هو الواقع وان كان الواجب فيه تفصيل

آثار المنار العلمية

﴿ التقريظ ﴾

﴿ الحماسة السنية الكاملة المزية ، في الرحلة العلمية ، التركزية الشنقيطية ﴾

للشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي شهرة طائرة في جو علوم العربية كانوهنا بذلك مرارا وتمنى محبو العلم من العارفين بمكانة هذا الرجل منه ومحبي الاستفادة منه لو يطبع له تأليف يزاددون به علما . ونبشرهم بأن رحلته العلمية تم طبعها من عهد قريب ونشرت في هذا الايام وفيها مجمل من سيرة الشيخ وآثاره في النظم والنثر . فمن ذلك ابتداء تحصيله بالمغرب وابتداء رحلته الى المشرق ، وذكر ما استنبطه من العلم الذي اخطأ فيه من قبله ، وذكر بعض مشهوري النحاة الذين اخطأوا في عدم صرف عمر ، وابتداء رثاثة نفسه ، وذكر مشهورات قبائل العرب ، وفيها مناظرات ومكاتبات بينه وبين بعض العلماء في المغرب والمشرق ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة ، وقد سلك المؤلف في رحلته هذه مسلك الحرية التامة في كتابة ما يعتقده في نفسه وفي غيره من الذين خالفوه في بعض المسائل وأنحى على المخالفين له بشدة عظيمة . واذا كانت هذه الطريقة منتقدة عند بعض القارئين فهو الذي عهدناه لا يخاف في حق اعتقده لومة لائم

ولعلنا ننشر من الرحلة شيئا في المنار . واننا نحث أهل العلم والادب على قراءة هذه الرحلة فانهم يجدون فيها من سيرة هذا الرجل الشهير ومن علمه وأدبه مالا مطمع في الوقوف عليه لولاها

﴿ تحذير المسلمين ، من الاحاديث الموضوعة ، على سيد المرسلين ﴾

كتاب جديد ألفه حديثا الشيخ محمد البشير ظافر الازهري جمع فيه فصولا كثيرة في الحث على الاشتغال بالحديث وفي وضع الحديث وأسبابه والمؤلفين فيه وفي ذم من

جزء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتب والرسائل التي تكثر فيها الاحاديث الموضوعة، وفي الخطبا التي يحتج من على ذكر الاحاديث الموضوعة في خطبهم وفي الخرافات الاسرائيلية التي دخلت في كتب المفسرين وأشهر رواتها وفي الحكم والامثال التي رفعها الوضاعون وهي موضوعة وفي طائفة من من الاحاديث الموضوعة مرتبة على حروف المعجم. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة (الراوي) فنشكر لمؤلفه عنايته وخدمته ونحث القراء على مطالعة كتابه وهو يباع بمكتبة المنار وغيرها وثمن النسخة منه ثلاثة قروش وأجرة البريد نصف قرش

ديوان سبط ابن التعاويذي

سبط ابن التعاويذي هو أبو الفتح محمد بن عبد الله توفي سنة ٥٨٣ وهو شاعر مشهور قال فيه ابن خلكان «كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن قبله بمئتي سنة من يضاهيه» وله ديوان كبير عني بنسخه وطبعه حديثا الدكتور مرجليوث الانكليزي مدرس العلوم العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة في انكلترا. وقال في مقدمته انه أخذه من نسختين في المكتبة البلدانية المشهورة إحداهما مبوبة على ما وصفه المصنف في خطبته والاخرى على ترتيب القوافي الخ مذكره وهو يدل على ما بذل من العناية في جمع الديوان وترتيبه. وقد وصف الدكتور الديوان بعبارة رقيقة لا أرى محلا ولا لتكلف فيها على ما فيها من السجع والجناس فقال: «وكم في هذا الديوان من مدحة رافعة للقدر، وأرجوزة شارحة للصدر، ومن أهجية جارحة للاعراض وشكاية مصيبة للاعراض، ومرثية مبكية للعيون، وقطعة مختلفة الفنون، فان القصائد كأنها مرايا تظهر فيها أسرار القلوب، وخفايا الغيوب، وتكاد تعيد الاموات، وتجعلهم ذوي حياة، وتظهر من غيب وسائف، نصب عين من خلف، حتى يشترك فيها كأن يداخلهم من المقة والمقت، عند قديم الوقت، ويشاهدهم في السراء والضراء عند اختلاف الشئون، ويسمع حديثهم ذا الشجون».

فانت ترى هذا السجع الرقيق لا يأباه لنفسه اكتب صاحب كتاب العصر فان وجد من الكاتبين من يرى مثل قوله «المقة والمقت، عند قديم الوقت» من التكلف في التجنيس والتسجيع فانا ضامن بأن ابن الفارض يتمنى مثله في شعره، ولا يأباه الحريري في نثره، وقلما تجد في الازهر من يحسن مثله»

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وضع للديوان فهرسين أحدهما في إحصاء أسماء الممدوحين والمهجوين وغيرهم ممن ذكر في هذا الديوان مع بيان نوع الشعر الذي قيل فيهم . وثانيهما في أهم المعاني الجائلة في أبيات الديوان مرتبة على حروف المعجم كالأباء وأخذ الممدوح الجائزة دون المادح وإعادة الدعوة العباسية في مصر والادراك والتشيع والعين وعيوب الشعر وقلاية الجائليق ونحو ذلك من المعاني التي يحتاج الى مراجعتها الباحثون وهذه الفهارس التي يلحقها الافرنج بكتبهم ومايطبعونه من كتبنا مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فاننا نحذو حذوهم فيها وقد طبع الكتاب بالشكل الكامل في مطبعة نقطف وهو بفهارسه نحو ٥٠٠ صفحة وثمن النسخة منه غير مجلدة ٣٦ قرشا صحيحا وثمن المجلدة تجليداً عاديا ٤٠ قرشا والمجلدة تجليداً متقنا مرسوما بالذهب ٤٥ قرشا . فنشكر للمؤلف عنايته وخدمته للغتنا وننبه قومنا للاعتبار بذلك فانا صرنا نأخذ لغتنا وآدابها عن الافرنج

أسرار النجاح

كتاب يشتمل على مقالات مفيدة جدا في الثروة والكسب مؤلف من مقدمة وثلاثة أبواب . اما المقدمة ففي أنفع النصائح والاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت ومصادر الثروة والثبات على العمل واختياره وأهم الأعمال الصناعية واما الباب الاول ففي الزراعة وفيه ثلاثة مباحث واما الثاني في الصناعة وفيه أربعة مباحث واما الثالث ففي التجارة وفيه سبعة مباحث . واضع الكتاب ابراهيم بك رمزي صاحب جريدة التمدن ومن قرأ جريدته يعرف كنه أفكاره المفيدة في أمثال هذه الموضوعات وقد جعل الكتاب هدية الى ابناء الوطن ، فهو يوزع عليهم بغير ثمن ، وهذا دليل على غيرة المؤلف واخلاصه في حب الخير لبلاده ، ولكن قومنا مغلولو الايدي ومقيدوا الارجل فلا يستطيعون السعي ولا يقدرون على الكسب بالهمة التي يريدها أمثاله من النبهاء الا بعد فك تلك الأغلال وكسر تلك القيود . ولابد لذلك من جهاد في عالم العمائم ينتصر فيه من يدعو الى الاصلاح في عمارة البلاد ، وترقية العباد . ولاشك عندنا في ان مثل هذا الكتاب من أنفع الكتب التي نشرت فان الناس اذا علموا وجوه الفوائد يقومون على محاربة التقاليد والعوائد .

(الزهرة) جريدة أسبوعية صدرت في تونس زمنا ثم احتجبت زمنا وقد برزت ثانية من كمها فنرجو ان يعبق عطرها ، ويعم نشرها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب الأحوال الأولى

﴿ الحرب بين اليابان والروسية ﴾

الروسية دولة تشبه شبابا عجيبا مساحة ارضها تناهز سدس الارض ولكن معظمها في اقصى الشمال حيث البحار جامدة من شدة البرد لا ينتفع بها ، وسكانها مئة الف الف او يزيدون عشرة آلاف الف ونيفا ، ونحو ثمانين الف الف منهم خاضعون للكنيسة الشرقية يتقلدون المذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وجيشها في وقت السلم زهاء ١٨٩٦ الفا ويقال ان في امكانها تجنيد اربعة ملايين ونصف اذا وجدت المال الكافي لذلك . وتقول اذا وجدت المال فانها لا تجد الضباط والقواد الذين يديرون نظام هذا الجيش مجتمعا ولكن لها من العسكر مددا لا ينفد في حرب اي دولة من الدول الكبرى . وقد ارتقت اساطيلها في السنين الاخيرة وكثرت حتى صارت قوتها البحرية في الدرجة الثالثة اي بعد انكلترا وفرنسا . ويقال ان عدد سفنها الحربية يزيد على مئتي سفينة متفرقة في البحر الاسود وبحر قزوين وبحر البلطيك وبحر الصين ولكن السفن الجديدة القوية التي يعتمد عليها في الحرب لا تزيد على خمسين سفينة . ثم ان عسكر هذه الدولة في البر والبحر متمرن على القتال والنزال ، مستعد له في كل حال ، ومالية الروس في ارتقاء مستمر ولهم خزينة مخصوصة للحرب ، نعم ان الامة الروسية في ظلمات من الجهل ودولتها في غمرات من الاستبداد ولكن كان من الحكمة ان بدأت باصلاح العسكرية ثم المالية وأما الادارة والمعارف فلا يتأتى اصلاحهما في مثل تلك البلاد الواسعة والامة العريقة في الجهل الا بالتدريج البطيء ولهذه الدولة رجال لا يبارون في السياسة فهم في الدرجة الاولى ولذلك نالت بين الدول مقاما عليا ، وقد قلت منذ سنين ان روسيا كشاب في سن العشرين وألمانيا كشاب في الثلاثين وانكلترا كرجل في الاربعين وفرنسا قد أشرفت على الخمسين أو دخلت فيها .

أصبحت هذه الدولة القاهرة مرهوبة الشذا من دول أوربا القوية ولقد حالفتها دولة فرنسا فكان حديث الامم ان فرنسا على عظمتها وغناها وقوتها وعلمها هي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التابعة وروسيا هي المتبوعة. أليس من العجيب ان تجرأ على هذه العظمة والجبروت دولة شرقية حديثة المدنية كدولة اليابان التي لايكاد يزيد عدد رعيتها على ثلث عدد الروسيين الا قليلا ؟ اليس من العجيب ان يغاضب هذا الطفل الصغير (كما يقول القيصر) ذلك الشاب المتلئ قوة وشبابا، وزهوا وإعجابا، ثم يواثبه فيخيفه ولايخاف منه؟؟

بلى ان هذا من مواطن العجب، عند من لايعرف السبب، عند هؤلاء الافراد الذين لايعرفون معنى حياة الامم وعزة الدول وان كانوا من الكثرة بحيث يطلق عليهم لفظ (أمة) - عند الذين لهم هيئات حكومات يطلق عليها لفظ (الدولة) - عند الافراد الذين لم يشعروا بأن في الكون سنة إلهية سماها الناس (تنازع البقاء) وهي تقضي بنمو الحي القوي، بتغذيه بالضعيف والميت، وانما لم يشعروا لانهم لم يذوقوا «ومن ذاق عرف» اما الميت منهم فلم يذق لانه ميت وأما الضعيف فلم يشعر لان معدته لاتقبل الغذاء فارادته لاتطلبه فهو في معنى الميت الا انه اشق منه بما بقي له من الشعور بالالم عند تغذي الاصحاء به.

أظن ان القارئ فهم المراد لانه يعرف ان أكثر الذين يعيش معهم لايحسون ولا يشعرون بأنهم طعام للامم الحية ومن عساه يحس منهم بذلك فانه يتألم ولايكاد يبدي حراكا لانه اذا قوي على الحركة صاح به سائر الضعفاء واستعانوا عليه بالاموات وقالوا جميعا: هلموا به فانه يريد ان يغير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من جراثيم مانحن فيه (أي من الضعف والموت الزؤام فانهم في ذلك دون سواه) فهذا يرميه بكسر القيود، وذلك ينبذه باعتداء الحدود، وفلان يقول إنه اجاز لنا ان نأكل مع الآكلين، وفلان ينادي بل أجاز لنا ان نلبس من لبوس السائدين؛ لقد أوقعنا في البلاء المبين، وسلب منا اباحة الاكل واللباس الدنيا والدين، فاذا اجاز لهم مع الغذاء والكساء ان يكسبوا مع الكاسبين، فقد استحق عندهم ان يكون من المخرجين،

أمثال هؤلاء لهم ان يعجبوا من مواثبة دولة توصف بالشرقية مثلهم لأعظم دولة في الغرب والشرق ولكن الذين يعرفون معنى الحياة لايعجبون فانهم يعلمون ان هذه الامة قد ارتقت في معارج الحياة الاجتماعية فالتمست الغذاء والحي الصحيح يتغذى دائما بغيره - فصادفت المقاومة فسلت الحسام ولجأت الى القوة فحاربت دولة الصين التي يبلغ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سكان بلادها زهاء ثلث البشر فقهرتها واستولت على طائفة من بلادها تسمى كوريا قريبة من اليابان وهي تستمد منها غلاتها وتنفق فيها تجارتها وعليها كان النزاع وتنازلت الصين لليابان بعد الحرب عن ميناء (بورت أرثر) وطاليانوان، وهما الثغران اللذان يرن ذكرهما كل يوم في الآذان، ولكن روسيا حسدتها على هذه النعمة وخافت مع غيرها من الدول الاروبية عاقبة اليابان فاتفقت مع المانيا وفرنسا على حرمان الظافر من ثمرة ظفره وقضت هذه الدول الثلاث على اليابان بالخروج من منشوريا وكانوا تغلغلوا فيها وباستقلال كوريا (وذلك بعد الحرب سنة ١٨٩٥ م) وفي أثناء ذلك احتلت الروسية منشوريا بحجة تسوية مسألة اليابان والمحافظة على استقلال الصين الذي عقدت المحالفة الثلاثية لاجله ولكنها لم تخرج منها بعد خروج اليابان ولم تكتف بذلك حتى اتفقت مع الصين على اصلاح ثغر بورت أرثر وطاليانوان ثم طفقت تمد السكك الحديدية في منشوريا وتقيم فيها الحصون والقلاع بحجة حماية السكة الحديدية وقد خاطبتها اليابان في الجلاء عن منشوريا «حفظا لاستقلال الصين» فماطلت وسوفت ثم وعدت وعدا الى أجل مسمى فانقضى الاجل ولم تف بالوعد فعلمت اليابان ان السعي في اخراجها انما كان لاجل الحلول في محلها والاستئثار بغنيمتها فطفقت تستعد للكفاح، وتطالب الروسية بالوفاء بوعدها مع شروط اخرى بغاية الالحاح، ولما ابطأت عليها بالجواب آذنتها بقطع الصلات السياسية، وابتدأتها بالحرب بحرية وبرية،

اما قوة اليابان البرية فقد قالوا انها تستطيع ان تجهز في زمن السلم زهاء ثلاث مئة الف مقاتل. وأما اساطيلها فهي أقل من مجموع الاساطيل الروسية سفنا ولكنها في الغالب اسرع منها سيرا وأبعد رميا وعدد السفن الحربية عندها على اختلاف أنواعها ثلاث وثلاثون يقابلها خمسون عند عدوتها ولكن هذه لا تستطيع ارسالها كلها الى الشرق الاقصى فاليابان هنالك أقوى اسطولا والفحم الحجري عندهم أقرب تناولا لكثرته في بعض جزائرهم وعندهم حياض كثيرة لاصلاح السفن التي يمرض لها في الحرب التلف في آلاتها او في ذاتها. وقوة اليابان البحرية سهلت عليها انزال جنودها البرية حيث تشاء من موانئ كوريا وامدادها بما تحتاج اليه من المؤن والذخائر. وقد حصرت الاسطول الروسي في مرفأ ميناء بورت أرثر بعد ان دمرت بعض مدرعاته في مهاجمتها تدميرا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لهذه الاسباب وصعوبة ارسال الجنود مع ذخائرها ومؤنها من قلب البلاد الروسية الى منشوريا يعد الناس الدولتين المتحاربتين متكافئتين فبعضهم يرجح النصر لهذه وبعضهم يرجحه لتلك ومنهم من يفصل في ترجيحه فيقول ان الظفر يكون في اول الامر لليابان في البر كما كان لها في البحر ولكن العاقبة تكون لخصمها لان مدد الجنود الروسية لا ينفد وعندها المال الكثير الذي يمكنها من مواصلة الحرب مدة سنة كاملة من غير ان تحتاج الى القرض ثم ان الاكتتاب من رعيتها للمعاونة على هذه الحرب قد بدأ بصفة مدهشة اي انه بدأ بالملايين من الروابل (قيمة الروبل عشرة قروش مصرية) فماذا ينتهي

اما ميل الامم الى المتحاربتين فمختلف فالانكليز والامريكان يميلون الى اليابان ويقال ان الانكليز حرضتها على الحرب، وفرنسا تميل الى حليفتها روسيا. وأما المانيا فقد اختلفت الرواية عنها والراجح عندي انها تود الى روسيا ظاهرا وتود ضعفها باطنا لانها جارتها وحليفة عدوتها (فرنسا) وقد ظهر ميل الانكليز والامريكان لليابان في جرائدهم كما ظهر ميل فرنسا لروسيا في جرائدها بل ان شركة روتر البرقية الانكليزية تعتني بنقل الاخبار التي تفيد خذلان الروسيين وشركة هافاس الفرنسية بالعكس. وقد بالغت الجرائد الانكليزية في الطعن والتنفير من روسيا حتى خافت حكومتها مغبة ذلك وطفق الملك يتودد الى القيصر ويكثر مقابلة سفيره في لندن والاقبال عليه. واما المسلمون عامة فانهم يودون ضعف روسيا لانها اكبر خطر على دولهم المستقلة الثلاث — تركيا وايران وافغانستان — ولكن السلطان عبد الحميد افترص ارتباك روسيا واشتغالها بأمر الحرب فبالغ في التودد الى القيصر وهي سياسة حكيمة بصرف النظر عما يقول كبراء الترك من وجود اتفاق سري بينهما فان اظهار الميل عن روسيا الى اليابان يحفظ قلب القيصر ورجال دولته على تركيا فيضمرون الانتقام منها في اول فرصة من حيث لا ينفع هذا الميل السلطان ولا الدولة من وجه آخر.

واما النصارى في البلاد العثمانية فهم أشد الناس ميلا الى روسيا لا سيما الروم الارثوذكس منهم والسبب في ذلك النزعة الدينية ولكنك تجد افرادا منهم يميلون الى اليابان لانها دولة شرقية قد ارتقت في العلم والنظام والصناعة فهم يفتخرون بها لانهم يعدون الشرق كله وطنهم والرابطة الوطنية اعلى في نفوسهم من الرابطة الدينية بل يرون ان الرابطة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدينية ضارة فى الدنيا وغير نافعة في الآخرة فانها هي التي حالت دون مساواتهم بمن يعيشون معهم في بلاد واحدة من كل وجه . وهذا الاعتقاد فاش في المتعلمين من النصارى ولكن لم يغلب وجدان الاكثرين، كما غلب أفكارهم — فهم يميلون الى مشاركتهم في الدين — ، وان كانوا غير معتقدين . ولو وجد في المسلمين عدد كثير يميل الى هذه الوطنية ولو مع المحافظة على دينهم لكثر عدد النصارى الوطنيين وتضاعف . وليس من موضوع بحثنا ان نطيل في حديث الوطنية وانما ذكرناها هذه المسائل لانها من العبر التي يصح ان نستفيدها من تأثير الحرب فذلك انفع لنا من معرفة عدد الذين يحفرون سكة حديد منشوريا ومعرفة طول نهر (يالو) وعرضه

وأهم مباحث هذه الحرب مبحث عاقبتها وتعديها الى الدول الاخرى ويظن ان اوربا كلها يسيئها ان يكون في الشرق دولة قوية عالمة صناعية ويسرها ان يتمزق شمل الجنس الاصفر كما تمزق شمل المسلمين اذ لم يكن لها منازع في السيادة على الشرق غير المسلمين وما أمنت جانبهم باستيلائها على أكثرهم وتعصبها على باقيهم الا نجم لها في الشرق ناجم آخر ينازعها في هذه السلطة . لذلك يظن ان لا يجني اليابان من انتصارهم — انهم انتصروا — اكثر مما جنوا من انتصارهم على الصين وان اوربا بالامكان منعهم من توسيع نطاق ملكهم في الشرق ولا من تمدين الصين وتعليمها الا ان تشاء انكلترا وأمريكا مقاومة روسيا بهما . وقد بحث السياسيون منهم في عاقبة ارتقاء اليابان وانذروا اوربا الخطر من الجنس الاصفر اذا اجتمع شمله واتحدت كلمته . واظن ان فرنسا لا تتورط في الحرب لاجل روسيا اذا هي انكسرت واذا هي تورطت فانها تورط انكلترا وهنالك الخطر العظيم على أوربا كلها وعلى آسيا وعقلاء الدول الاوربية يتقون هذا الخطر أشد التقوى ولذلك اتفقوا على حل (المسألة الشرقية) بالمطاولة لا بالمناجزة والاقرب الى المعقول ان يحتل منشوريا وكوريا معا والاولى فقط جيش مؤلف من دول أوربا الكبرى لتبقى السيادة للابيض على الاصفر ولتؤمن اغارة روسيا على هذه البلاد مرة أخرى والاقان الحرب تستمر سنين طويلة

واما اذا انتصرت الروسية عاجلا أو آجلا فهل تترك لها أوربا وامريكا ملكتي منشوريا وكوريا غنيمة باردة وترضيان بأن تكون لها السيادة العليا في الشرق الاقصى والكلمة النافذة في الصين؟ كلا ان هذا بعيد من المعقول وان الخطر في انتصار روسيا أشد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من الخطر في انكسارها وانه ينتظر حينئذ ان تهب الصين الى مساعدة اليابان فاذا ظهرت روسيا على الجنس الاصفر كله فللدول طريقتان أحداهما سلمية وهي الاتفاق على الزام روسيا بجعل منشوريا وكوريا تحت حماية الدول الكبرى واحتلالهن إياها بجيش مختلط والزام اليابان بالغرامة التي تثقل كاهلها واخذها بالعقوبات التي لا ينهض لها معها رأس، ولا يرتفع لها فيها صوت، والثانية حربية تسلك اذا تعذر الاتفاق بين الدول ذات الشأن وهي انكلترا والولايات المتحدة ثم المانيا وفرنسا أو أبت عليهن روسيا الدخول في الامر ولابد ان تشد فرنسا عضدها حينئذ ولا مندوحة لانكلترا والولايات المتحدة عن امداد اليابان بالعساكر البرية والاساطيل البحرية ان بقي اسطول روسيا في الشرق حيا الى أن تمكن من تعزيزه باسطول بحر البلطيك وماذا يفعل الدب الروسي حينئذ ؟

اذا كانت المحالفة بين روسيا وفرنسا تقضي على هذه باسعادها في الحرب اذا أسعدت خصمها دولة أخرى فهناك الطامة الكبرى وتكون الكلمة العليا في أوربا لمن تنصره المانيا فان أسطول فرنسا في البحر المتوسط لا يقف أمام اسطول انكلترا فيه لان هذا أقوى اساطيل انكلترا وهي تستطيع ان تعززه حالا بأسطول بحر المانش واسطول البحر الشمالي . والاقرب الى التصور ان تنتصر المانيا يومئذ لانكلترا على عدوتها الظاهرة وهي فرنسا وعدوتها الخفية وهي روسيا وتجعل السيادة في العالم بين الجرمانيين والسكسونيين فانهم اقرب نسبا ومذهبا — نقول هذا على تقدير وقوع ما تحذر منه أوربا وتتوقاه ، على انها تتوقعه وتخشاه، والارجح ان الدول تقدر على الزام الغالب والمغلوب بما تحكم به وانها تكتفي باضعاف الدولتين المتنازعتين في السيادة على الشرق الاقصى وتجعله مرتعا مباحا لجميع الاوربيين والامريكيين، ويكون النجاح للسابقين ، ويظن بعض الناس هنا ان الحرب العامة تفيد الدول المهضومة كالدولة العثمانية وايران وبعض الدول الصغيرة في أوربا ولكن المتفكرين يرجحون ويعتقدون بأن الحرب العامة لا تنتهي الا بانتهاء المسألة الشرقية وابتلاع الدول القوية للضعيفة في تلك الفرصة وقانا الله شرها وألهم الاقوياء ما فيه أمن الضعفاء .

هذا ما سنح لنا من الاخبار والآراء في هذا المقال لم نقصد به التفكيه والتسلية ولا تدوين تاريخ الحرب ولا التحزب السياسي بالانتصار لدولة دون اخرى وانما قصدنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التنبيه والايقاظ للاعتبار بأحوال الامم الحية واعمالها ، وامانيها و مالها ، لعل القارئ يتدبر فتحن نفسه الى العزة والقوة ، وتمنى ان تكون امته حية قوية ، ثم يقوده التمني الى التفكر في وسائله ليصير رجاء واملا، يستلزم سعيا ويقتضي عملا، وليت شعري امن التمني ام من الرجاء مايفكر به الاكثرون من استفادة الدولة العثمانية والدولة الفارسية من هذه الحرب التي يرون انها تشغل روسيا عنهما عشرين سنة؟ سئل عظيم من رجال احدى الدولتين الستفيد دولتنا الاسلام ـ تركيا وايران ـ من هذه الحرب؟ فاجاب الرجل العظيم هل استفادمن حديثنا هذا النائم (واشار الى رجل نائم في المجلس) واتفق ان استيقظ النائم عند الجواب فقال السائل : هاقد استيقظ النائم . قال : نعم ولكن النوم لايزال ملء عينيه .

كم من فرصة سنحت لنا وخفت ، ثم تولت وخفيت ، ونحن في طريقنا سائرون ، وعما لنا راضون ، كتبنا (في ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩) مقالة عنوانها (الفرصتان) جاء فيها مانصه كما في (ص ٥٣٢) من مجلد المنار الثاني:

« واما فرصة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا فانكلترا وسائر دول اوربا الكبرى بالمسألة الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي محو اسمها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق اوربا على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنا بالطمع في الصين الفيحاء البعيدة الارجاء أن هذه الدولة قد عزمت على تعزيز الخط الحديدي العظيم الذي انشأته في سيبريا (وطوله ٤٦٩٠ ميلا) بخط آخر ينشط من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقي للصين ممتدا الى ميناء بورت آرثر وينوشونغ ويقرب ان تمده من هذه الى بكين عاصمة الصين ، ويقدر المال اللازم لهذا الناشط بعشرين مليون جنيه كما قدر المال اللازم لطريق سيبريا الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مد عليه خط واحد . وانها قد قررت انفاق ٩ ملايين جنيه لتعزيز اسطولها بالبوارج من الطراز الجديد . خمسة وثمانون مليونا من الجنيهات من دولة لا تعد من الدول الغنية ليس الا لتلك الغنيمة الكبرى التي تتوقعها في الصين ويؤكد ذلك تقوية الاسطول مع أمنها على ثغورها في اوربا من الدول البحرية وعلمها بأن اليابان لا تقدم على محاربتها فتخاف منها على فلاديفوستك وميناء بورت آرثر ولا يخفى على هاتين الحاضرتين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من غير اليابان . هذا ولا بد لانكلترا وفرنسا والمانيا من مزاحمة روسيا ولا بد ان يمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة

« فيجب على الدولة العلية ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الاصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤيد واهمها تعميم التعليم العسكري وتقوية الاسطول ومساعدة الرعية على تعميم المعارف وانتقاء العمال والحكام من الأكفاء والدولة العلية وسلطانها الاعظم أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك » اه

هذا ما قلناه منذ سنين والدولة لم تعمل شيئا منه يذكر ولكن اليابان استعدت في هذه المدة وابتدأت روسيا بالحرب وقد نقلت الجرائد الاوربية من أقوال قيصر روسيا وكبار قواده ما يدل على اعترافهم ببسالة هذه الدولة واستعدادها وانهم لا يقدرون على الانتقام منها الا بعد زمن طويل يتم فيه استعدادهم . ونقلت من أقوال اليابانيين وأناشيدهم ما يدل على احتقارهم الروسيين ورميهم اياهم بالجهل والظلم واعتقادهم بأنهم هم الغالبون بالعلم والنظام ودلائل النصر بادية لهم ، فاعتبروا يا أولي الابصار »

وبقي علينا ان نشير الى ما يجب على دولة ايران فان الخطر عليها من روسيا أشد منه على غيرها وربما يكون أول شيء تتوجه اليه روسيا بعد ذهاب منشوريا من يدها اذا هي غلبت عليها أن تأخذ بلاد فارس عوضا عنها فتسترخذ لانها وتنكي انكلترا فانه واجب على دولة ايران ان تعتني قبل كل شيء باتخاذ الوسائل لتسليح أهالي بلادها وتمرينهم على رمي الرصاص ليكونوا كلهم مدافعين اذا دخل العدو بلادهم كما هو حكم الشريعة الاسلامية وان تعتني أشد الاعتناء بالتعليم العسكري واستجلاب الاسلحة والذخائر الجديدة بقدر الطاقة وأظن ان انكلترا تساعدها في هذا الوقت اذا أرادت ولها ان تطلب ضباطا من أحتها تركيا فقد مضى زمن التقاطع والتدابر

واما أفغانستان فهي غنية عن التنبيه والانذار فان عنايتها بالتعليم العسكري واستعمال السلاح لا مزيد عليها فاذا انهزمت روسيا من امام اليابان ، فانها لا تقوى على مهاجمة الافغان ، لما عليه هؤلاء من شدة البأس ، وصعوبة المراس ، ووعورة البلاد ، وحسن الاستعداد ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دعوى الخلافة

(تعريب مقالة نشرت في جريدة (ترك) الغراء)

ان دعوى الخلافة هي من أهم الاسباب الداعية لتشتت شمل المسلمين والمانع الوحيد لوفاقهم ووئامهم وما هي بالشيء الجديد وانما بدأت منذ زمان سيدنا علي ومعاوية ونمت بعدئذ وتشعبت الى شعب كثيرة . واشرأبت نحوها أعناق الامم الاسلامية بأسرها حتى ان كل أمة من هذه الامم لا يروقها وجود الخلافة عند غيرها ولا تراها صالحة الا لها . فكم من دماء على هذه المسئلة قد اريقت ، وكم أرواح زهقت ، وأطفال يتمت ، ونساء رملت ، وكم أضرت هذه الدعوى بالاسلام من الاضرار البليغة المادية والادبية

وأكثر الكل تجحاً بدعوى الخلافة هم العرب اذ يتخذون انتسابهم الى النبي «ص» ونزول القرآن باللغة العربية ومدنية العرب بعد الاسلام حجة على تأييد مدعاهم . ولا يروقهم كون الخلافة بيد الترك الذين تشرفوا بالدين الحنيف منذ سبعة قرون ولا يرونها لائقة بهم . ومع ذلك فان الوفاق والوئام لا أثر لهما بين العرب . فترى مثلا ان أهل الحجاز يريدون ان يكون شريف مكة هو الخليفة وان الخلافة حقه لا ينازعه فيها منازع . كما ان كل شيخ مشايخ عربان اليمن يريد الخلافة لنفسه . اما السوريون فان أفكارهم تناقض هذه الافكار كل المناقضة . ولو عطفنا النظر الى المسلمين القاطنين في أفريقا رأينا المراكشيين يدعون ان سلطانهم من نسل النبي وانه أحق بالخلافة من غيره . أما سكان وادي النيل فانهم يريدون ان تكون القاهرة مركزاً للخلافة كما كانت في العصور الغابرة فتراهم لا يألون جهداً في تعميم هذا الفكر بين افراد المصريين . واما الايرانيون فانهم لا يعتقدون بصحة خلافة الذين تولوا الخلافة بعد أولاد الرسول ولا يقبلون غيرهم أحداً فعلى ظني ان هذه الدعاوى جميعها مبنية على اسس واهية وهذه الافكار أوهام باطلة وهذه الاقوال غير صحيحة ،

فاول شرط من شروط الخلافة هو ان تكون الامة التي تبغي حمل تبعة هذا المنصب على عاتقها هي أكثر الامم الاسلاميه جاهاً وأبعدهم في الحضارة شأواً وأقدرهم على درء العدو عن حوزة الخلافة المقدسة وهو ما يقضي به العقل والشرع . فاذا نظرنا اليهم نظرة الناقد البصير فهل نرى غير العثمانيين منهم أمة تحوز هذه الاوصاف جميعها ؟ كلا : فالخلافة لا تقاس بالبابوية الكاثوليك . ولم تكن وظيفة الخليفة محصورة في رفع الاكف والدعاء

لحفظ الخلافة الاسلامية وصيانتها . بل ان من الواجب على الخليفة ان يريق الدماء ويبذل الاموال للذود عن حقوقها .

فلا المراكشيون الذين لا يزالون على ما كانوا عليه من الهمجية منذ القرون الوسطى ولا حملة الرمح ورماة السهام من قبائل افريقا ولا شريف مكة الذي لا يهمه سوى سلب الحجاج أموالهم ، ولا أصحاب الاوهام الباطلة من المصريين بقادرين على القيام بحقوق هذا المنصب . ولا يمكن ان يقوم باعبائه غير العثمانيين الذين تؤهلهم له حضارتهم وموقعهم الجغرافي وبسالة جنودهم وانتظامها . وما أتوه من الخدم الجزيلة وما أراقوه من الدماء في سبيل هذه الغاية في العصور الخالية لهو اقوى دليل على ما قدمنا . ولكن هل استفادوا مقابل ذلك شيئا من الفائدة المادية؟ كلا ثم كلا . فلو لم يحملوا تبعة هذا المنصب على عاتقهم لاستراحوا من هذا العناء ، ولامضوا حياتهم السياسية بكل راحة وهناء ، ولما تسلطت النصارى حتى الاميركيون منهم على الاتراك ولما ترقبوا الفرص لايقاع الاذى بهم وكل ذلك لم يكن الا لكون الاتراك هم عضد الاسلام الاقوى وجميع السهام المصوبة نحو الاسلام لا تقع الا على رءوس الاتراك . اما ما يقال من ان الترك لم يقوموا بأعباء هذا المنصب حق القيام فهو صحيح . ولكن ليبرز من يقدر على القيام باعبائه أكثر منهم على شرط ان يؤيد أقواله بالافعال . وحينئذ يرى العثمانيين مستعدين لتسليم هذه الامانة المقدسة والانزواء في زاوية الراحة .

اما اذا قال قائل ان الحكومة العثمانية لا تترك للسوريين واليمانيين والبغداديين مجالا فنقول : من ذا الذي يأتي على أيدي المراكشيين والتونسيين والمصريين عن العمل؟ ولكن هيهات « طيب يداوي والطبيب عليل » اه

(المنار) قول الكاتب الاديب ان دعوى الخلافة كانت بلاء على المسلمين وأنها أضرت بهم كثيرا صحيح وكان يجب عليه ان يبحث في تلافي هذا الضرر لا أن يهيجه بتعظيم قومه وتحقير سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم . وكان يجب عليه ان يمثل لهم قوة الدولة العثمانية عزا لهم وشرفا لا عارا عليهم وهضما . ان الكاتب أخطأ في سير مقالته وانا نبين له خطأه ووجه الصواب الذي كان ينبغي له ان يعرفه وان يعرف الناس به وهو انه لا يوجد في سوريا ولا في مصر من يفكر في جعل خليفة المسلمين سوريا أو مصريا أو بغداديا . واما الكلام في المسألة فقد وجد في مصر وحدها من افراد من أهل البطالة الذين يكسبون المال والجاه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الاستانة ومصر بكتابة التقارير ، للايهام والتغرير ، وقد كتبوا أوراقا ونظموا أشعاراً يوهمون بها السلطان بأن خديو مصر يسعى للخلافة سعيها وان الامة المصرية تابعة له . ويريدون بهذا التقرب الى السلطان تارة والى الخديو أخرى على أنهم يخوفون السلطان منه ليقضي له حاجاته عنده وحال هؤلاء معلوم وهم يوقنون بأن الامة المصرية لا تفكر في هذا المعنى ولا ترجوه فضلا عن كونها تسعى اليه

هذا ما نعلمه علم اختبار في القطرين ونعرف برواية الصادقين ان أهل مكة والمدينة لا يريدون ان يكون أميرها خليفة المسلمين ، وكذلك البلاد العربية كلها تود ان تكون دائما تحت رعاية الدولة العثمانية وسيادتها بشرط ان تقيم فيها العدل واما الذين يخرجون في اليمن فهم معدودون يستفزهم ظلم أحكام الترك فيهيجون ، ولو حكموا بالعدل لما كانوا يثورون ، فهذا ما نقوله بناء على اختبار من نثق بهم كصديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير دارين وصديقنا المرحوم الكواكبي الذي ساح في الجزيرة واختبرها حق الاختبار ولكن العرب لا يصبرون على الضيم فاذا ساءت معاملتهم ساءت اعمالهم . واما أهل مراكش فلا علاقة لهم بالسلطنة التركية . ودعوى سلطانهم الخلافة كدعوى سلطاننا لم تحمل احدهما صاحبها على منازعة الآخر وأما كونها مانعة من اتحادهما فاللوم فيه أعلم السلطانين وأحكمهما اذ يرضى ان يكون اللقب سبب التفريق بين رؤساء المسلمين بلا فائدة . واما الايرانيون فعذرهم أوضح الاعذار لان المسألة عندهم دينية محضة فلا يمكن مطالبتهم بترك اعتقادهم الا بالحجة الدينية ومقالة جريدة (ترك) سياسية لا دينية

فعلم من هذا ان تصوير الكاتب الفاضل مسألة الخلافة غير صحيح من جهة الواقع أي انه ليس في المسلمين من ينازع الترك بالفعل لاجل لقب الخلافة وهذا هو روح المسألة

واما قوله ان العرب يحتجون على كونهم أحق بالخلافة بكذا فغير صحيح أيضا وانما يحتجون بالاحاديث الصحيحة المتفق عليها الناطقة بأن الخلافة في قريش وهي حجة لم يخالفهم فيها أحد من علماء الترك فهذه كتبهم في العقائد والفقه والحديث متفقة مع كتب علماء العرب على اشتراط القرشية في الخلافة . ولا يقدر ان يقول ان حديث الرسول من « الاوهام الباطلة والاسس الواهية » وانما الباطل ما ذكره هو في شروط الخلافة من الجاه والحضارة والموقع الجغرافي !! نعم ان القوة هي المدار الحقيقي ولكن يجب على المسلمين ان يجعلوا قوتهم مؤيدة للحق الذي جاءت به شريعتهم وحجة له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا خاذلة له وحجة عليه . ولو كانت الحضارة شرطا لصحت خلافة الراشدين

وأما قوله هاتوا لنا من يقدر على القيام بحقوق الخلافة من غير الترك لنسلمها اليهم فجوابه ان الخلافة ليست حقا شائعا منتشراً بين افراد الشعب التركي الممتاز على جميع الشعوب بحضارته فيقال ذلك وانما هي منصب تقلده الأمة لرجل واحد وهذا الواحد يجب ان تقيده الأمة بشريعتها فاذا كان ما يقوله الكاتب صحيحا فليختر الترك أولي بروا رجلا قرشيا من آل البيت على صفات الخلافة ويجعلوه بقوتهم التي وصفها خليفة للمسلمين ولا يتوقف هذا على ما يعجز الكاتب به الشعوب الاسلامية من مطالبتها بالاستعداد لازالة قوة الترك وايجاد خلافة بقوة أخرى !!!

وخلاصة القول ان البحث في الخلافة والخليفة من اللغو الذي يخشى ضره ولا يرجى نفعه . وان الذي يجب على كل مسلم في هذا العصر هو ان يؤلف بين المسلمين في حكوماتهم وأفرادهم وان لا يجعل هذا اللقب سببا للتفريق ولا اختلاف اللغات سببا للاختلاف . وأنه لا يضر الترك شيء مثل جعلهم التركية جامعة لهم يفتخرون بها على سائر المسلمين وتعمدهم إضعاف الشعوب الاسلامية ليتازروا بالقوة وحدهم فانهم اذا أمسوا وحدهم فلابد ان تبتلعهم أوربا وقد رأوا العبرة بالممالك التي انفصلت منهم والممالك التي تهدد بالانفصال . والكاتب الفاضل يعلم ان القوة التي افتخر بها ليست مؤلفة من الترك وحدهم بل منهم ومن العرب والاكراد والارناؤط وغيرهم . فعليه ان يحث قومه على مساواة جميع الشعوب التي تتألف منها الدولة بانفسهم في بلاد الدولة وان يتقربوا من سائر الشعوب الاسلامية بخدمة الاسلام نفسه أي باحياء لغة كتابه المنزل من عند الله تعالى على رسوله العربي وباقامة شريعته العادلة وبتأمين حرم الله وحرم رسوله فان عار سلب الشريف أموال الحجاج انما هو على الدولة التي تحكم الحجاز لا على الشريف الذي هو أحد عمالها الذين يوليهم سلطانها « خادم الحرمين الشريفين » فاذا فعلت الدولة ذلك ووجهت قوتها الى جمع الشعوب وتأليف القلوب ، رجي لها الفوز بالمرغوب . والا كانت هي المقطعة لاوصال الاسلام محافظة على سيادة العنصر التركي

واما ما تبجح به من أعمال الترك وجهادهم في سبيل الخلافة المقدسة فهو أغرب ما في المقالة فان الترك أيام حروبهم وفتوحاتهم لم يكونوا يذكرون لفظ الخلافة ولا يتبجحون به كما اليوم ولم تكن حروبهم دينية اذ لم يكن يتقدمها دعوة الى الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم تكن لحماية الدعوة وحرية الدين وانما كانت لسمة الملك ولذلك لم ينتشر الاسلام في الممالك التي افتتحوها بسعيهم واقامتهم للدين ، ولا ارتقت فيها الحضارة بمدنيتهم ، ولا اتسعت دائرة المعارف بعلومهم ، ولا قدروا على تحويلها الى لغتهم وجنسهم بحسن سياستهم ، بل أحفظوها عليهم ، حتى أمكنتها الفرصة فتملصت من أيديهم ، وهذا حق يسوءنا ذكره ، ولا يسعنا إنكاره ، فعلينا وعلى أخينا الكاتب الفاضل ان نرغب عن الفخر بالباطل ، الى تأليف القلوب بالحق ، وما هو الاشدة حاجة بعضنا الى بعض وتناسي اتناشعوب مختلفة فحسبنا ان الاسلام جمع بيننا وجعلنا بنعمة الله اخوانا وان الخلافة الحقيقية لم تكن الا للراشدين ثم صارت ملكا عضوضا

ألم يكن أفضل مما كتبه في رمي العرب عامة والمصريين والسوريين منهم خاصة ببغض الترك وتمني نزع لقب الخلافة منهم ان يذكر الجميع بأن أوربا واقفة للمسلمين عامة بالمرصاد وان أعون شيء لها عليهم اختلافهم وتفرقهم وأنه لامصلحة لاحد منهم في هذا التفرق وان الدولة العلية هي أقوى دولهم فاذا أوقع الاعداء بها وهي قائمة ، فكيف يرجى ان تنهض بهم أمة نائمة .؟ ألم يكن الافضل لمن يعتقد ان التنازع على لقب الخليفة هو المانع من اتحاد المسلمين ان يدعو قومه الى السكوت عن هذا اللقب ويدعو سائر الحكومات الاسلامية الى الاتحاد على حفظ البلاد الاسلامية مع بقاء كل أمير في امارته وكل سلطان في سلطنته كما يتحالف ويتحد ملوك النصارى ؟

ليخبرني الكاتب الفاضل اي ضرر يلحق الدولة أو الاسلام والمسلمين اذا سكتنا عن الفخر بهذا اللقب الذي اعترف هو بان ادعاءه قد فرق كلمة المسلمين.؟ ان قال تفوت فائدته في تكبير أوربا شأن الدولة العلية : أقول وهل كان هذا التكبير الا ضارا إذ هو الذي اقام قيامة أوربا على الترك كما قال ، وهو الذي يحمل دول أوربا على التضييق على مسلمي مستعمراتهم توهما انهم يميلون الى الدولة على أنهم لايتركون الضغط على الدولة لارضائهم . وان قال انه يفوتها بذلك ماتجنيه من مسلمي تلك المستعمرات من الفوائد : نقول لانسلم ان نحو مساعدة مسلمي الهند لسكة الحديد الحجازية هو لاجل لقب الخلافة ولئن سلمنا لنقولن ان هذه الفوائد لاتوازي بعض مضرة مناهضة أوربا ونفور العرب من الدولة ان صح قوله الاول انهم نافرون.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دعاء شعبان ـ انتقاد المنار

تكرر منا الوعد بأننا نقبل الانتقاد علينا ونذكر رأينا فيه قلما تسليما واما تفنيدا. وقد كنا ذكرنا في الجزء السابع عشر من هذه السنة كلاما في بدع ليلة النصف من شعبان، ذكرنا ان من ذلك الدعاء المشهور الذي لم ينزل الله به من سلطان. ثم تنبهنا الى ما كنا قرأناه في كتاب كنز العمال من ان لبعض ألفاظ الدعاء أصلا مرويا في الجملة كما سنذكره وكتب الينا عقيب ذلك الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري كتابا يقول فيه: « اخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله عليه في معيشته: ياذا المن ولا يمن عليه، ياذا الجلال والاكرام، ياذا الطول لا إله الا أنت، ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا، فامح عني اسم الشقاوة، واثبتني عندك سعيداً، وان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروما مقترا علي رزقي فامح حرماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير فانك تقول في كتابك الذي انزلت « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »: واخرج بعضه عبد بن حميد وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه. وكذا ابن جرير عن شقيق بن وائل ومعلوم ان ليس في ذلك للرأي مجال فيكون في حكم المرفوع: اه

(المنار): مصنف ابن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد لم تتداولهما الايدي ولا نعرف في عصرنا من يرويهما متلقيا نسخهما بحيث يصح ان يعتمد على هذه النسخ والرجلان من متقدمي المحدثين وكل ما رووه فهو في كتب الحديث المتداولة صحيحه في الصحاح وحسنه في الحسان وضعيفه في الضعاف. وهذا كتاب الجامع الكبير للسيوطي يقول انه احصى فيه جميع هذه الكتب المعروفة ولم نجد في كنز العمال (الذي هو الجامع الكبير وزيادة الا انه مختلف الترتيب) هذا الحديث عن هذين المحدثين. وانما اخرج عن الحاكم بسند ضعيف « عن الحسن بن أبي الحسن أظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة كان يأمر ان لا تعلموها السفهاء فيدعون بها (كذا) فكان يقول: ياذا الجلال والاكرام » وساق نحو ما تقدم مع تغيير في العبارة ولم يذكر « فانك تقول في كتابك » الخ وعن ابن السكن الكلاعي عن أبي عثمان الهندي انه سمع عمر يقول في طوافه « اللهم ان كنت كتبتني عندك في السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في الشقاوة فامحني منها واثبتني في السعادة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » ولو صح هذا وما قبله ـ وما

www.alukah.net

هما بصحيحين — لم يكن فيهما حجة على هذا الشعار الديني المبتدع في ليلة النصف والدعاء الملفق الذي يطلب فيه محو ما في أم الكتاب ، على ان الرواية الاولى لم يجزم فيها بقول ابن مسعود ، والثانية أبعد عن المقصود . ونرجو من الاستاذ السمنودي ان يكتب الينا سندها وأداءها والا فلا معول عليه أني كان .

﴿ خاتمة السنة السادسة ﴾

نحمد الله تعالى ونشكره أن أتم لنا ست سنين ، في خدمة الامة والدين ، وان جعل هذا المنار حيا ناميا يزيد الاقبال عليه والثقة به سنة بعد سنة ويتجدد له في كل عام مئون من المشتركين . ثم بعد شكر الله تعالى نشكر أهل الفضل والغيرة الذي وازرونا في عملنا بالترغيب في المنار وبأداء حقه في وقته وكان أعظمهم منة علينا في هاتين السنتين وكيل المنار الهمام في تونس الذي تجدد لنا بسعيه وهمته عدد عظيم من المشتركين ووعد — وهو خير من وفى — بأنه لا يأتي شهر صفر ولنا عند أحد في تلك البلاد قرش واحد من الاشتراك . ثم ذلك السري الشيعي الذي طلب منا خمسين نسخة ترسل باسمه وهو يدفع قيمتها . وكذلك بعض كبراء المصريين الذي كان مشتركا بعدة نسخ فزادها في السنة الماضية عشرا ومثله كبير في بلاد العرب زاد في اشتراكه عشر نسخ فحيا الله هؤلاء الكرام ، وادامهم انصارا للعلم والاسلام ، ثم نشكر لسائر المشتركين الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم في زمن قل فيه الوفاء وعظم فيه الشح في طريق الحق والخير من حيث عظم السرف والتبذير في سبيل الترف والشهوات . وندعو للماطلين المسوفين بأداء قيمة الاشتراك بعذر أو بغير عذر بأن يوفقهم الله تعالى لما فيه خير أنفسهم وصلاحها من الوفاء والاهتمام بالاعمال النافعة والتعاون على البر والتقوى . ونختم هذا المجلد بالصلاة والسلام على خاتم النبيين . والحمد لله رب العالمين .

﴿ شرط الاشتراك في المنار ﴾

كل من يقبل الجزء الاول من السنة السابعة (١٣٢٢) يعد مشتركا الى نهاية السنة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان رد المجلة بعد ذلك فلم يرض بهذا الشرط فليرد الجزء الاول . وعلى من لا يصل اليه بعض الاجزاء ان يطلبه في مدة ٢٠ يوما من يوم تاريخ وروده يرسل اليه فان طلبه بعد ذلك فعليه ان يرسل ثمنه قرشين ونصف قرش والاجرة غير مكلفة باعطاء بدل المفقود ولو بالثمن ، والحكم في مراعاة ما تقدم الذمة والامانة .